طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
لائحة القومي العربي

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

طلقة تنوير 49

كلمة العدد: الهبات الشعبية العربية مبشرة بالخير، لكن لا بديل عن التنظيم العابر للأقطار العربية

قالت العرب قديماً أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك..
سبع سنوات عجاف شهدتها أمتنا بعد أن فتحت عليها أبواب الجحيم وتداعت علينا أمم النيتو من كل حدب وصوب كما يتداعى الأكلة إلى القصعة..
قرنٌ من الزمن مر على اتفاقية قسمت الجغرافيا العربية لكنها لم تفلح في ضرب الوعي الجمعي العربي الذي لم تنل منه سنوات التغريب والإفقار والتهميش ولم تقدر على حرف بوصلته..

رغم عقودٍ من التقسيم ورغم كل الجهود التي بذلتها الحكومات الرجعية العربية والنخب العربية المخترقة لأجل عيون «ريتا»، كما يقول المطبع درويش، ولأجل عيون الصهاينة، بقيت فلسطين بوصلة العرب التي لا تخيب.. وظلت القدس عربية في عيون وقلوب الملايين..

سبع سنبلات خضر تلوح في الأفق زرعها أبطال الجيش العربي السوري وسقوها بعرقهم ودمائهم بعد أن أسقط بواسلنا في الشام أكبر مؤامرة عرفها التاريخ لترتد موجة الخراب التي أطلقوها من تونس وتوقفت في دمشق لتعود إلى تونس من جديد..

* تونس التي أرادوها نموذجاً لربيعهم الأسود، وأطلقوا عليها جحافل المطبعين والتكفيريين وكلاب بني صهيون أبت إلا أن تكون عربية، وكأن جينات المقاومة التي زرعتها قوافل الشهداء الذين شدوا الرحال إلى القدس ودفعوا أغلى ما يملكون في سبيل تحريرها والجينات المقاومة التي سرت في عروق المجاهد الأكبر الطاهر الأسود الذي استأمنه عبد الناصر على قيادة المقاومة في المغرب العربي والجينات المقاومة التي سرت في عروق الدغباجي والثائر على تركة الجباية العثمانية علي بن غذاهم.. هذه الجينات تغلبت على جهود طوابير وجيوش النخب المرتزقة ومليارات الدولارات التي أنفقت في سبيل تحريف بوصلة هذا الشعب وشطب عروبته.

تآمرت كل أحزاب الربيع لأجل إسقاط فصل تجريم التطبيع في الدستور التونسي، فأفتى القضاء التونسي بحرمة التطبيع وأجهض العديد من التظاهرات والبرامج التطبيعية..

طلقة تنوير 49

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 حزيران 2018

- كلمة العدد: الهبات الشعبية العربية مبشرة بالخير، لكن لا بديل عن التنظيم العابر للأقطار العربية
- الاستقلال والمقاومة أو التبعية والفناء/ كريمة الروبي
- الهيمنة التركية من بوابة "الربيع العربي": الاستثمار التركي في تونس شراكة اقتصادية، أم أطماع استعمارية؟ عبد الناصر بدروشي
- أكذوبة الاقتصاد التركي/ إبراهيم علوش
- عزل مصر وغياب الدور المستقل.. هي المؤامرة/ السيد شبل
- شخصية العدد: هواري بومدين (بوخروبة)/ فؤاد بدروشي
- الصفحة الثقافية: واقع الدراما السورية قبل الحرب/ طالب جميل
- منبر حر: المعركة الثقافية بين الإرهاب وطمس الهوية القومية/ فارس سعادة
- تاريخيّة السّيرة (7) – الإشكاليّة/ محمد العملة
- قصيدة العدد: حكم سيوفك في رقاب العذلِ/ عنترة بن شداد العبسي
- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر:

لمتابعتنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:
موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:
arab.nationalist.moderator@gmail.com

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

عملوا على نقل التطبيع من المستوى الرسمي إلى الأوساط الشعبية، فقام شباب تونس بملاحقة المطبعين في الشوارع وداسوهم تحت الأقدام..

* الأردن بقي عربياً وسيبقى ببركة مناضلين لا يستحون من الحق ولا ينامون على ضيم، فرغم التطبيع الرسمي ومعاهدة السلام التي وقعها نظام وادي عربة وقف قلة من المؤمنين ورفعوا شعار "استح" في وجه من لا يستحون ورابطوا لسنين أمام سفارة الملاعين ليغسلوا العار من على جباه كل الأردنيين..

كما قلنا أن جينات المقاومة العربية حية لا تموت رغم كل ما يحاك ضدها وكل محاولات قتلها، لتأتي هبة الأردنيين في وجه سياسات صندوق النهب الدولي وفي وجه سياسة نظام انتهج الانبطاح وعمل على سحق الطبقات الكادحة وما تبقى من طبقة وسطى في الأردن خدمةً لمشاريع الهاء شعبنا العربي بهموم الحياة اليومية وكبحاً لأي محاولات للتغيير والتقدم.

* فلسطين عروس عروبتنا التي عملوا على تدجين شعبها الجبار واجهضوا محاولات انتفاضه المتكررة على واقع الاحتلال، لئن أفلح ربيع بني صهيون في اسكات بندقية أغلب حركات "المقاومة" جاءت الذئاب الفلسطينية المنفردة ورفعت صوت الحجر والسكين في انتظار نفض الغبار عن البنادق والصوارخ التي شارفت على الصدأ في مستودعات السلطة وحماس التي عضت اليد الدمشقية التي امتدت لها يوم أدار الجميع ظهورهم عنها..

تحت شعار "لن يضيع حق وراءه مجاهد" تأتي مسيرات الزحف المقدس المهيبة في غزة وفي القدس والتي اتخذت من العودة عنواناً كوسيلة مقاومة مبتكرة في وجه الغطرسة الصهيونية والوقاحة الإمبريالية بعد طرح "صفقة القرن" لقتل القضية الفلسطينية بدعم ومباركة من قبل الرجعيات العربية..

* اليماني الأصيل، رغم القصف والحصار والجوع والمرض والقتل والدمار، ينتفض لفلسطين ويخرج في حشودٍ مهيبةٍ تخبر القاصي والداني أن الخير في أمة العرب سرمديٌ لا يفنى والكرامة التي تسري في عروق العربي لا تنضب..

* مصر التي في خاطرنا ننتظر بفارغ الصبر أن تفيق من غفلتها وتزيح عنها سواد التطبيع الذي غشيها والهيمنة الغربية التي استمرت لعقود طويلة..
الحرب سجال.. وتذكرنا الجماهير أن قلبها لا يزال ينبض عروبة، وهذه الهبات الشعبية المباركة مهما كانت مبشرة الا أنها لا تزال تفتقر للتنظيم، الهجمة المرتدة للجماهير هي إشارة للنخب وغمزة لعلها تلتقطها وتنخرط في مشروع وحدوي تحرري عربي شامل..

تخبرنا الجماهير أنها حية وأنها على أهبة الاستعداد للتنظيم في حال وجدت من هو جدير بنيل ثقتها ومن هو قادر على تأطيرها ضمن مشروع تحرري عربي استراتيجي منظم..

مشروع "الربيع العربي" يرقص رقصة الديك المذبوح لكن دعونا لا ننسى أن العم سام لا ييأس من محاولات شطب أمتنا، ويبقى الحل الوحيد للمقاومة أطماعه هو تأسيس حراك شعبي عربي منظم مقاوِم عابر للأقطار من المحيط إلى الخليج..

هيئة تحرير "طلقة تنوير"

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

الاستقلال والمقاومة أو التبعية والفناء

كريمة الروبي

لا جدال في أن ما نعاني منه الآن هو نتاج خيار مصر في الانعزال عن محيطها العربي وتبني سياسة النأي بالنفس، وقد توهم الساداتيون بأن مصر تملك خيار الابتعاد عن دورها الإقليمي، وهذا نتاج عدم إدراكهم لمكانة هذا البلد، وعدم فهمهم جغرافيا وتاريخ هذا الوطن العريق.. وهذا الوهم الذي يرقى لحد المؤامرة، أثبتت التجربة بأنه مستحيلٌ على المستوى العملي.

فحين تخلت مصر عن قيادتها للأمة العربية وتركت الساحة خالية لأطراف أخرى للعب أدوارٍ إقليمية، كان الخليج حاضراً بنفطه وثرائه والقوة التي اكتسبها من عمالته للاستعمار، فأفرز ما آلت إليه الأوضاع في جميع الأقطار العربية، فما لم نكن نتخيل حدوثه منذ عقد مضى أصبح ممكناً ويتم تمريره ولا يهتم به سوى القلة من القابضين على جمر النضال والعروبة، فمن منا قد تخيل في يوم من الأيام أن تنقل الولايات المتحدة سفارتها من «تل أبيب» للقدس دون أن يُقابل هذا القرار برفض عارم وتحطيم لكل سفارات أمريكا في الأقطار العربية ونشاط غير مسبوق من النخبة وعمليات مقاومة كبرى تعيد إلى ذاكرتنا عمليات اختطاف الطائرات والحافلات الصهيونية وإيلام العدو في كل مكان!.

لا شك في أن توقيع مصر على اتفاقية كامب ديفيد وخروجها من الصراع العربي-الصهيوني واستغراقها في مشاكلها الداخلية التي هي نتيجة مباشرة للتبعية للبيت الأبيض، وكذلك خلو الساحة لوكلاء الاستعمار القابعين في الخليج، قد حدّ من تسليح المقاومة الفلسطينية من ناحية، ودفع بعضها للتبعية لممالك النفط اللاهثة وراء الرضا الأمريكي من ناحية أخرى، مما أفرز مقاومة منزوعة الأنياب، وأصبح الشعب يناضل بالحجارة والسكين ويخرج بالآلاف في مسيرة العودة دونما سلاح يوجهه لصدر العدو، فاكتفى بأن تكون مسيرته هي أقصى ما بإمكانه للتأكيد على الحق الذي تأبى الأجيال الجديدة نسيانه فيبذلون الدم من أجل -فقط- التذكير بهذا الحق. كما كان لسقوطنا في وحل التطبيع أكبر الأثر في خسارة دعم الدول الصديقة للقضية الفلسطينية.

لم تكن قضية نقل السفارة هي البداية بل هي مجرد مؤشر على ما وصلت إليه الحال، فنضالنا ليس من أجل القدس فقط بل من أجل فلسطين من النهر للبحر، وقد وصل الفجور للحد الذي جعل عضو الكونغرس الأمريكي رون ديسنتس يتقدم بمشروع قانون يطالب فيه بالاعتراف بالجولان السوري المحتل كجزءٍ من «إسرائيل»، وهو ما لم يحرك ساكناً لدى الأصنام التي تحكمنا، ولا شك لدي بأن الجيش العربي السوري والمقاومة اللبنانية لن يسمحا بذلك وسيقاومان بمفردهما مدعومين من بعض الحركات والتنظيمات الشعبية التي تساندهما حالياً في القضاء على المؤامرة التي خطط لها التحالف الصهيوخليجي على سورية، ولكن طرح هذا الأمر هو تأكيد على أن الوضع بات كارثياً وأن وجودنا أصبح على المحك.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

عندما أرادوا إقناعنا بوهم السلام مع العدو الصهيوني، طالبونا بأن نكون «واقعيين»، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، ولكن الواقعية تحتم علينا إلقاء نظرة سريعة على وضع الأمة العربية وقت أن كان يحكمنا مبدأ «لا صلح- لا تفاوض-لا اعتراف» وتبني طريق الاستقلال الاقتصادي والسياسي ودعم المقاومة، حين كان يتزعم الأمة قائد بحجم جمال عبد الناصر الذي مازال يؤرق أعداءه إلى الحد الذي حذر فيه معهد ماكين الأمريكي من «ظهور عبد الناصرجديد في مصر» عقب الإطاحة بحكم الإخوان في مصر في 2013، ومقارنة ذلك بما نحن فيه من هزيمة وتفكك ودمار ليدرك أن الواقعية هي المقاومة، والحل في الاستقلال ورفض التبعية مهما كلفنا الأمر فليس لنا خيار آخر وإلا الفناء سيكون مصير هذه الأمة.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

الهيمنة التركية من بوابة "الربيع العربي":
الاستثمار التركي في تونس شراكة اقتصادية، أم أطماع استعمارية؟

عبد الناصر بدروشي

خلال العقد المنصرم قامت تركيا "حزب العدالة والتنمية" باعادة رسم سياساتها الخارجية من خلال تعميق علاقاتها وانخراطها في الجغرافيا المجاورة لها، لا سيما في الوطن العربي. وعمدت إلى سياسات وعلاقات اقتصادية وسياسية أكثر انفتاحاً في بلاد الشام خصوصاً والوطن العربي عموماً بما في ذلك الخليج العربي والمغرب العربي. ورغم أن العديد من الدول العربية فتحت أبوابها في وجه الأتراك وعززت علاقاتها السياسية والاقتصادية معها على حساب دول أخرى -الانفتاح السوري على تركيا نموذجاً- إلا أن كل هذا لم يشفع لها ولم يقف حائلاً أمام الأطماع التركية والعقلية اللصوصية العثمانية التي تتجاوز مفهوم الشراكة والتعاون إلى الهيمنة والنهب.

الانفتاح السوري على تركيا والتعاون التجاري الذي ابدته سورية حتى على حساب صناعاتها لم يثمر عند العثمانيين الجدد الذين انخرطوا في عملية تخريب سورية بلا هوادة ونهبوا مصانع حلب بعد أن قاموا بتفكيكها ونقلها إلى تركيا خلال موجة "الربيع العبري" الذي اجتاح الوطن العربي الذي كانت البصمة التركية حاضرة في كل تفاصيل مشاهده الدموية منذ البدايات.

في خضم التحولات الجيوسياسية وأجواء إنعدام الاستقرار التي يشهدها الوطن العربي، يحاول صناع السياسة الخارجية التركية إعادة صياغة استراتيجيتهم للاستفادة قدر الإمكان من الأوضاع القائمة واعادة بعث حلم الهيمنة العثمانية الذي يتعامل مع الجغرافيا العربية على أنها منطقة نفوذ ويعتبر المقدرات العربية بقرة حلوب.

ولعل أفضل مشهد يختزل المنزلة التي يحتلها العرب في نفوس العثمانيين، والمشاعر التي يكنها لنا الأتراك اليوم، هو مشهد زيارة "أردوغان" إلى تونس في السابع والعشرين من شهر كانون الأول/ديسمبر 2017.

خلال زيارته إلى تونس قام اردوغان بممارسات مستفزة اعتبرها الكثيرون "أخطاء بروتوكولية"، فقد قام أردوغان بالغاء زيارته لمجلس النواب لحضور جلسة برلمانية إثر رفض طلبه بترؤس الجلسة وجلوسه في مقعد رئيس البرلمان ، ليطلب بعدها عقد اجتماع مع رئيس مجلس النواب ورؤساء الكتل البرلمانية في القصر الرئاسي بقرطاج!

الرئيس التركي هو من وجه الدعوة إلى الطرف التونسي ليستقبله في قصر الرئاسة ليتحول من ضيف إلى مُضيف، والأدهى والأمر هو تعرض "الضيوف" لمعاملة أقل ما يقال عنها أنها كانت مهينة من قبل حرس أردوغان، حيث فرض الأمن الرئاسي التركي إجراءات أمنية على النواب وعلى رئيس المجلس قبل دخول قاعة الاجتماع التي يفترض أن تكون أرضاً خاضعة للسيادة التونسية لا بل في مكان يعبر عن رمزية السيادة.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

الخروقات الدبلوماسية التي بدرت من أردوغان لم تقتصر على منع رئيس المجلس من الدخول قبل تفتيشه او تفتيش قاعته فقط، بل تعدت ذلك إلى استغلال رئيس دولة اجنبية قصر الرئاسة التونسي ليستقبل فيه وفداً تونسياً رفيع المستوى، كأنه هو رئيس الدولة وليس ضيفاً!

إن مثل هذه الانتهاكات التركية ليست مجرد أخطاء ومخالفات للأعراف الدبلوماسية بل هي ممارسات لها دلالاتها السياسية تُظهر أردوغان بزي السلطان العثماني الذي يجتمع بولاة سلطنته.

هكذا عاد شبح الهيمنة العثمانية ليطل برأسه من جديد من بوابة "الربيع العربي" حالماً بإعادة امجاد أجداده التي بنيت على سواعد وجماجم خيرة شباب العرب الذين لم ينالوا من حكمهم غير الخازوق العثماني.

الهيمنة الاقتصادية هي التتمة المنطقية للهيمنة للسياسية إن لم تكن هي الهدف من ورائها، وبعد أحداث "الربيع العربي" المأفون ظهرت بوادر تعاظم النفوذ الاقتصادي التركي في الوطن العربي والذي حقق ازدهاراً على حساب الاستثمار العربي، وسنتطرق في هذا السياق إلى نموذج الغزو التركي للسوق التونسية.

أكدت جريدة "الشروق" التونسية في عددها الصادر في 13 آذار/مارس 2014، تحت عنوان "التونسي تتزّك"، أن مصادرها المطلعة في وزارة التجارة تفيد بتطور حجم المبادلات التجارية بين تونس وتركيا ليصل إلى مليار دولار بعد أحداث "الربيع العبري" وهو مرشح ليتضاعف خمس مرات.
كما وجد المستثمرون الأتراك تسهيلات وتشجيعات كبرى من حكم "الاخوان" ومن خلال الدفع السياسي وزيارة الرئيس التركي "عبد الله غول" لتونس في شباط/فيفري 2013. وأعلن رئيس الوزراء التركي عن نية تخصيص أكثر من 470 مليون دولار للاستثمارات المباشرة في تونس خلال السنوات القادمة. وتشير الأرقام إلى تطور الاستثمار التركي المباشر، حيث توجد 17 شركة تنشط بالخصوص في قطاع الخدمات والمقاولات والإسمنت والبنى التحتيّة والصناعة وصناعة الملابس العسكريّة والمظلّات، وغيرها من الشركات التي تعمل في مجال النسيج وقطع السيارات.

الفلاحة قطاعٌ آخر شمله الغزو التركي، ونخص بالذكر منتوج بذور عباد الشمس البيضاء التركية التي حلت محل بذور عباد الشمس المحلية السوداء التي كانت تشكل عائدات مالية هامة للعديد من الفلاحين، وقد تكبد فلاحو الشمال والشمال الغربي خسائر فادحة بعد اصبحت تونس تستورد بذور عباد الشمس البيضاء، وانخفضت المساحات المزروعة بهذا المنتج لتصل إلى 4 آلاف هكتار بعد أن كانت قبل الغزو التركي 24 ألف هكتار.

بالاضافة لبذور عباد الشمس أصبحت تونس تستورد من تركيا التين المجفف ليضيّق الخناق على الإنتاج المحلي للتين المجفف عالي الجودة كثيراً، اضف إلى ذلك الصناعات الغذائية مثل الشكلاطة والبسكويت وحتى المياه المعدنية التي عرضت مؤخراً في المساحات التجارية الكبرى بتونس، الأمر الذي اعتبره مراقبون تهديداً لمستقبل الاقتصاد التونسي في الأسواق المحلية. وفي هذا السياق علق وزير الاستثمار والتعاون الدولي، زياد العذاري، على تلك الدعوات قائلاً: لا داعٍ لاستيراد مياه معدنية، مبيناً أنه ليس مسؤولاً في وزارة التجارة!

لا نفهم حين يقول مسؤولٌ حكوميٌ كوزير الاستثمار والتعاون الدولي: "لا داع لاستيراد المياه المعدنية"، ولا نعرف لمن توجه بدعوته المبهمة تلك بدل اتخاذ قرارات حاسمة أو على الأقل العمل على دفع الحكومة، التي هو أحد أعضائها، لاتخاذ قرارات حاسمة بدل الاستنكار خفيف اللهجة والتنصل من المسؤولية.

الاقتصاد التركي غزا السوق التونسية تحت عنوان اتفاقيات التبادل التجاري وتحت شعار مساعدة الاقتصاد التونسي لتتحول تونس إلى سوق للمنتوجات الاستهلاكية والخدمات التركية، وهي السلع والخدمات ذاتها التي تنتجها المصانع التونسية الصغرى والمتوسطة، مثل المعلبات الغذائية والبسكويت والشكلاطات والمياه وغيرها مما يشكل تهديداً لصغار المستثمرين والشركات الصغرى والمتوسطة، وفي المقابل قال اردوغان في زيارته إلى تونس سنساعد تونس عبر استيراد الفسفاط (الفوسفات) ومنتجات القطاع المنجمي عموماً وزيت الزيتون التي تعتبر منتجات مطلوبة في جميع

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

انحاء العالم وبجودة عالية لسنا بحاجة لدعم لترويجها والمفترض لو كانت تركيا تريد مساعدتنا أن تفتح لنا الباب لتصدير منتوجاتنا الصناعية الغذائية المحلية وغيرها من المنتجات لسوقها.. أما ما يحدث في الواقع فهو تنمية الاقتصاد التركي على حساب المستثمرين التوانسة الصغار.

تتعالى بعض الأصوات الفرنكوفونية الداعية لمقاطعة المنتجات التركية، ليس من منطلق تحرري، ولا من منظور قومي، بل من باب معاداة المشروع "الإخواني" لمصلحة الهيمنة الغربية، وتخرس ألسنة هؤلاء عن الهيمنة الاقتصادية الأوروبية على أسواقنا، ولسنا نعارض بشدة المنافسة بين الأتراك والفرنسيين في مجال المعدات الفلاحية الثقيلة مثلاً أو المنتجات التي لا ننتجها ونقوم باستيرادها، ولكن الحقيقة أن الاستثمار التركي المتعاظم في تونس يأتي على حساب الاستثمار التونسي المحلي.

ولئن اتخذت الهيمنة الغربية على أسواقنا المحلية طابعاً استعمارياً فإن الغزو الاقتصادي التركي يتخذ غطاءً أيديولوجياً.. وكما فتح الفرنكوفونيون أدعياء الحداثة الباب أمام الغرب لنهب مقدراتنا وتحويل بلادنا إلى سوق استهلاكية ينتعش فيها اقتصادهم على حسابنا، فان "الإخوان المسلمين" بعد موجة "الربيع" قاموا بفرش السجاد الأحمر للعثمانيين الجدد ومكنوهم من امتيازات تساعدهم على بسط نفوذهم وازدهار اقتصادهم على حساب الاستثمار العربي، وها هو الاستثمار التركي يتوسع على حساب الاقتصاد التونسي والعربي ومن بوابة "الربيع".. ربيع أعداء الأمة العربية الذي أوقفه بواسل الجيش العربي السوري الذين تتكسر أحلام الهيمنة العثمانية تحت أقدامهم.

ويبقى غياب مشروع قومي عربي حقيقي عابر لحدود سايكس-بيكو السبب الرئيسي وراء كل محاولات إخضاع أمتنا ونهب مقدراتها.

وسيبقى العثماني، كما الأمريكي والصهيوني، يسرح ويمرح في وطننا حتى تتشكل حالة مقاومة عربية حقيقية تأخذ بزمام المبادرة.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

أكذوبة الاقتصاد التركي

إبراهيم علوش

بالرغم من الدعاية الملونة سياسياً عن «المعجزة الاقتصادية التركية»، كنوع من الترويج لتيارات «الإسلام السياسي» أو عودة الاحتلال العثماني لدى مواطن عربي يعاني الأمرين اقتصادياً (وغير اقتصادياً)، فإن الواقع هو أن الاقتصاد التركي عبارة عن أكذوبة كبيرة تعومها الاستثمارات والديون الأجنبية، لا سيما الأوروبية منها، واستباحة الأسواق العربية تجارياً، والسياحة، وعوائد الأتراك العاملين في الخارج، فيما تعاني تركيا نفسها من عجزٍ رهيبٍ في ميزانها التجاري (الفرق بين قيمة صادراتها وارداتها)، وفي حسابها الجاري، ومن نموٍ انفجاريٍ في دينها العام (العجوزات الصافية في الموازنات العامة التركية خلال السنوات الفائتة)، لا سيما منذ وصول حزب «العدالة والتنمية» للحكم عام 2002، كما تظهر إحصائيات وزارة المالية التركية ذاتها المقومة بالليرة التركية أدناه، وهو الدين الذي وصل عند لحظة كتابه هذه السطور إلى حوالي 237 مليار دولار.

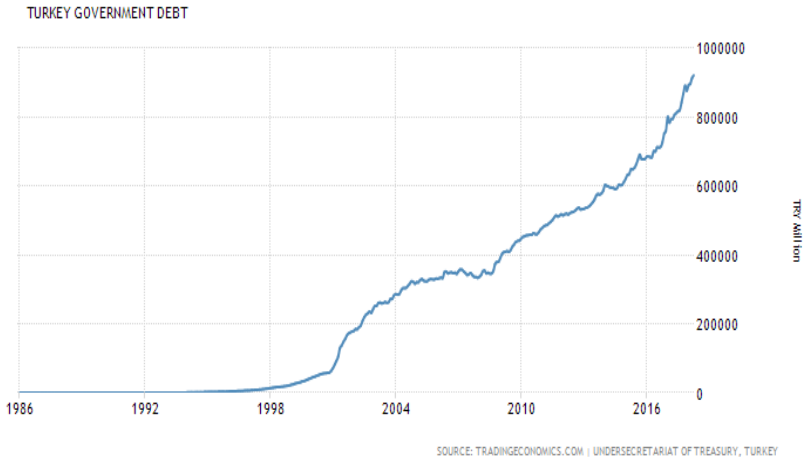

تشير الأرقام الرسمية التركية أن الدين العام التركي، بالرغم من ارتفاعه كقيمة مطلقة عدداً كبيراً من الأضعاف، قد انخفض كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي التركي من 76% عام 2001 إلى أقل من 28% عام 2015، في محاولة للتدليل على نجاعة السياسات المالية لحكومة "العدالة والتنمية"، لكن الغريب في مثل هذا الكلام أن الدين الخارجي التركي الإجمالي قد انفجر في ظل حكم "العدالة والتنمية" أكثر من عشرة أضعاف ونيف، من حوالي 44 مليار دولار عام 1989 إلى أكثر من 454 مليار دولار في نهاية عام 2017، وهو ما يمثل أكثر من 53% من الناتج المحلي الإجمالي التركي عام 2017، أما الدين الخارجي التركي الصافي (بعد طرح الأموال التي اقرضتها المؤسسات التركية العامة والخاصة للخارج) فبلغ أكثر من 291 مليار دولار مع نهاية عام 2017، وهو ما شكل أكثر من ثلث الناتج المحلي الإجمالي التركي، وفيما يلي رسمٌ بياني لنمو الدين الخارجي التركي، بحسب إحصائيات وزارة المالية التركية، مقوماً بمليارات الدولارات الأمريكية.

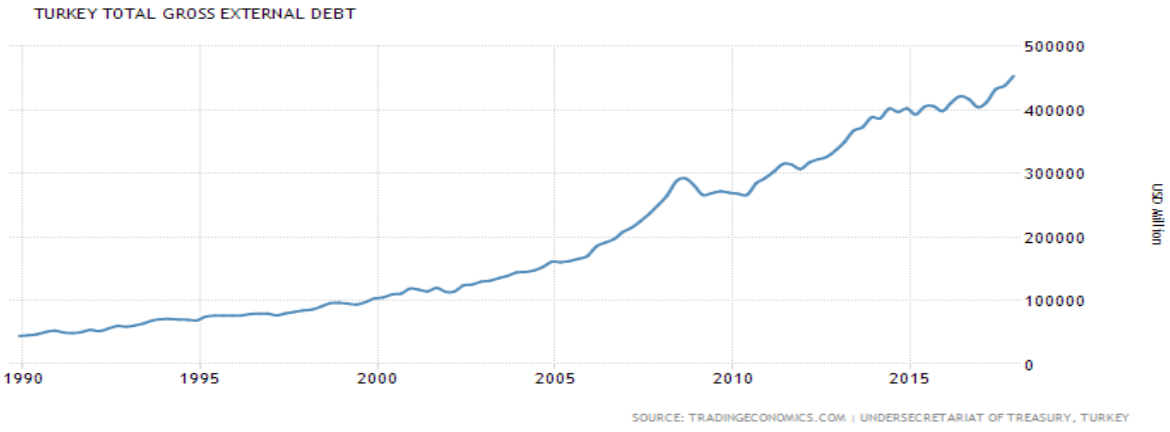

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

تجدر الإشارة، كملاحظة فنية، أن الدين العام يتضمن جزأين، خارجي وداخلي، وبالتالي ربما يقول قائل: كيف يكون الدين الخارجي أعلاه أكبر من الدين العام؟ وليعذرني المتخصصون، ولكن يجب التذكير هنا أن الدين العام Public Debt هو الدين الحكومي الداخلي والخارجي، أما الدين الخارجي External Debt فيتضمن شقين خارجيين: حكومي وخاص، أي أن جزءاً من الدين العام الحكومي التركي مستحق للقطاع الخاص التركي، فيما تدين الحكومة التركية بجزءٍ آخر من دينها العام لغير أتراك. أما الدين التركي الخارجي فجزءٌ منه مستحق لغير الأتراك على الحكومة التركية، وجزءٌ آخر منه مستحق لغير الأتراك على المؤسسات والشركات الخاصة في تركيا. ولذلك فإن الدين الخارجي التركي الإجمالي البالغ 454 مليار دولار تقريباً يزيد عن الدين العام الحكومي التركي البالغ 237 مليار دولار. ومن هذا الدين الخارجي، تدين الحكومة التركية للخارج بحوالي 137 مليار دولار (تنقسم بدورها إلى ديون على الحكومة التركية وديون على البنوك المملوكة حكومياً)، ويدين القطاع الخاص العامل في تركيا للخارج بحوالي 318 مليار، فلا تناقض هنا بين الرقمين... وسنرى بعد قليل الصلة الوطيدة بينهما، مع العلم أن هذا الفرق الأكاديمي بين مصطلحي "الدين العام" و"الدين الخارجي" تحول إلى ذريعة عند بعض كتاب النظام التركي للتقليل من خطورة انفجار الدين الدين الخارجي التركي أسياً في السنوات الفائتة، متجاوزين الرابط العضوي بين الدينين بسبب سياسات نظام أردوغان الاقتصادية والمالية من جهة، وبسبب نقاط الضعف البنيوية في الاقتصاد التركي ذاته من جهة أخرى.

لكن قبل الدخول في ربط الدين العام التركي بدينها الخارجي، لا بد من الإشارة أن الدين الخارجي، بشقيه العام والخاص، مقومٌ بالعملات الأجنبية. فمن يقترض بالدولار واليورو عليه أن يدفع أقساط الدين وفوائده بالدولار واليورو، فإذا ضعُفت عملته الوطنية مقابل العملات الأجنبية، فإن عبء خدمة الدين يزداد بسبب الفرق في سعر الصرف، أي أن عليه أن يجمع ليرات تركية أكثر ليسدد نفس المقدار من الدولارات مثلاً، ومن هنا يشكل ازدياد الدين الخارجي (العام والخاص) عبئاً أكبر بكثير على الاقتصاد التركي كلما ازداد هذا الدين، وكلما ضعفت الليرة التركية، فإذا نظرنا للدين الخارجي التركي بحسب العملة الأجنبية، بحسب بيانات وزارة المالية التركية، سنجد أن أكثر من 90% منه مقومٌ بالدولار واليورو، وأن حوالي 58% منه مقومٌ بالدولار الأمريكي، كما تظهر الصورة أدناه.

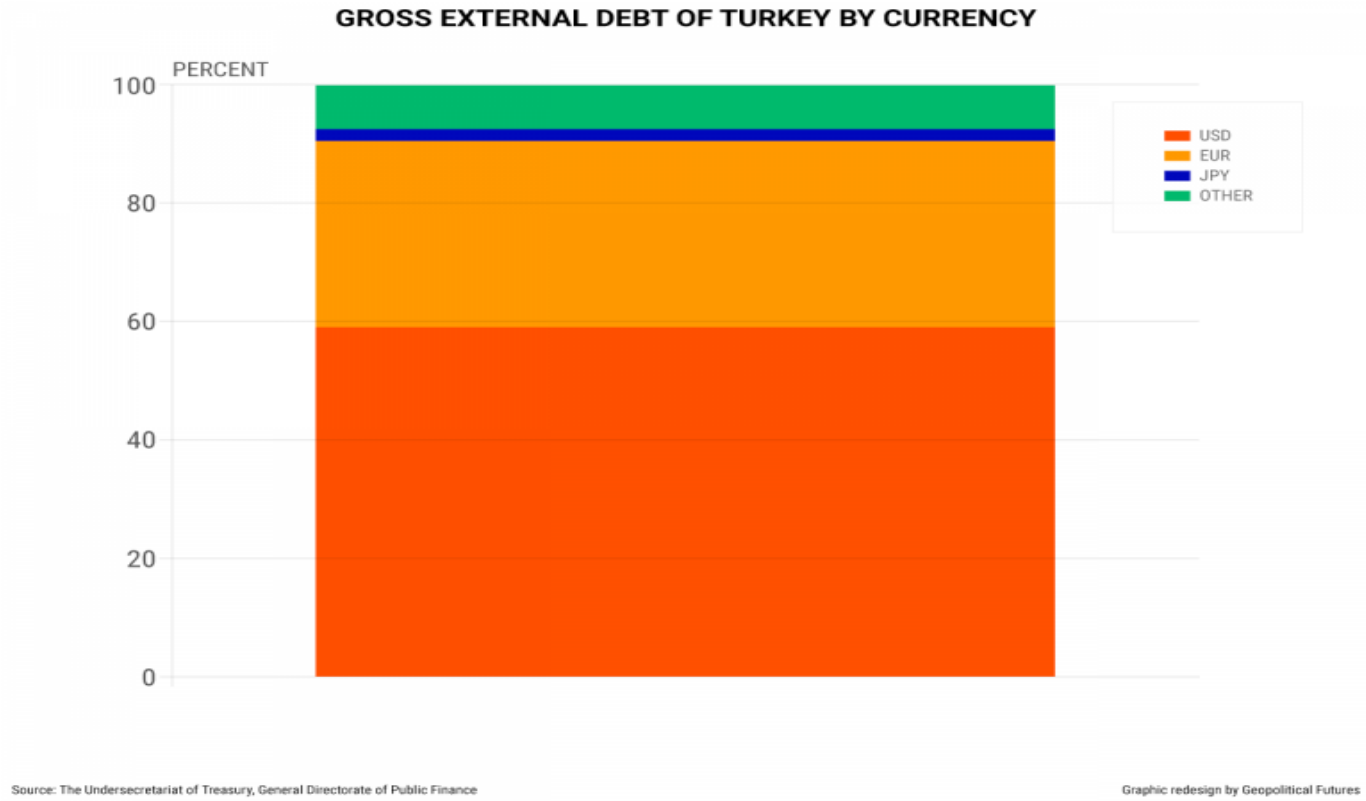

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

بالمقابل، لو نظرنا إلى سعر صرف الليرة التركية مقابل الدولار، أو مقابل اليورو، فسنجد أن اتجاهه العام هو الانهيار، ومع أن البعض يركز على انخفاض سعر صرف الليرة التركية مقابل الدولار حوالي 25% منذ بداية هذا العام، وكانت قد شهدت الليرة التركية أيضاً انهياراً بمقدار 20 بالمئة في الأشهر السبعة الأولى من عام 2015، وهو مؤشر مهم بحد ذاته، ولو أن التذبذب في سعر الصرف قد يغيّر منه بعض الشيء، فالأهم بالنسبة لأي دولة مدينة بكميات ضخمة من العملات الأجنبية يبقى الاتجاه التاريخي على مدى خمسة أعوام أو عشرة مثلاً، لا التذبذب في سعر الصرف على المدى القصير أو القصير جداً. ومع أن انخفاض قيمة العملة له إيجابياته الكبيرة بالنسبة للدولة المصنّعة والمصدّرة مثل الصين، فإن سلبيات انخفاض العملة تفوق إيجابياتها بكثير كلما كانت الدولة مستوردة ومدينة للخارج مثل تركيا، لأن ذلك يعني امتصاص المدخرات المحلية للخارج، مما يعيق تشكل رأس المال، ويضعف بالتالي معدلات الاستثمار المحلي والنمو الاقتصادي والتوظيف ومستوى المعيشة، ناهيك عما يعنيه بالنسبة لارتفاع أسعار السلع والخدمات المستوردة، ومن ثم المحلية البديلة لها (كلما ازداد الطلب على الثانية بعد ارتفاع سعر الأولى).

على كل حال، فلننظر إلى الاتجاه التاريخي لسعر صرف الليرة التركية مقابل الدولار الأمريكي من جهة، ومقابل اليورو من جهة أخرى، مع التنوية أن ضعف العملة يعني أننا سوف نحتاج إلى كمية أكبر منها لشراء دولار أمريكي أو يورو واحد، مثلاً، في يوم رأس السنة عام 2017، كان يحتاج المواطن التركي إلى دفع 3،78 ليرة للحصول على دولار أمريكي واحد، وفي يوم الجمعة الموافق 25 أيار 2018 بات يحتاج إلى 4،7 ليرات تركية للحصول على دولار أمريكي واحد، وهو ما يمثل انخفاضاً في سعر الليرة التركية منذ بداية سنة 2018 بمقدار 24.33% خلال الأشهر الستة الأولى من السنة تقريباً. مرة أخرى، ليس التذبذب اليومي، الذي يعني المضاربين بالعملات، هو ما يعنينا هنا، بل الاتجاه العام على مدى سنوات، فإليكم هذه الرسوم البيانية لاتجاه سعر صرف الليرة مقابل الدولار ومن ثم اليورو خلال السنوات الأخيرة.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

للأمانة، يجب أن نذكر أن احتياطيات تركيا من العملة الصعبة، التي بلغت في بداية شهر نيسان هذا العام ما يعادل 83 مليار دولار أمريكي بالإضافة إلى 25،3 مليار دولار من الذهب، تخفف نظرياً من أثر تزايد الدين الخارجي السلبي على سعر صرف الليرة وعلى الاقتصاد ككل، ولكن هل تكفي 109 مليار دولار تقريباً من الاحتياطيات لتغطية ديون بمئات مليارات الدولارات لو اضطر البنك المركزي التركي للتدخل لشراء الليرة التركية بكميات ضخمة لمنعها من الانهيار؟ بعض المحللين يشيرون إلى أن الاحتياطيات التركية من النقد الأجنبي لا تعكس الواقع بدقة، إذ أن نسبة كبيرة منها تمثل قروضاً على البنك المركزي من القطاع المصرفي التركي، فلو أخذنا احتياطيات البنك المركزي التركي في نهاية عام 2017 مثلاً، من دون الذهب، المتكونة آنذاك من أكثر بقليل من ثمانين مليار دولار، لوجدنا أن أكثر من 40 مليار دولار منها كان قروضاً من القطاع المصرفي، وبالتالي لا يملك البنك المركزي أن يتصرف فيها بحرية إذا لم يرغب بدفع القطاع المصرفي للانهيار! غطاء تركيا من العملات الصعبة إذاً أكثر رقةً بكثير مما يبدو للوهلة الأولى... مع أن ما يفترض أن يبدو عليه لا يكاد يغطي ربع الدين الخارجي التركي.

يشكل هذا العجز الكبير بين المستحق من ديون والموجود من موارد نقدية وذهبية أحد أهم الحوافز المالية لعمليات الخصخصة واسعة النطاق التي طفق نظام حزب "العداوة والتنسية" في تطبيقها منذ وصل للحكم، وبحسب وزير المالية التركية رداً على استجواب من نواب في حزب الشعب الجمهوري حول عوائد الخصخصة، فإن نظام أردوغان قام بين عامي 2002-2017 ببيع 10 موانئ و81 محطة لتوليد الطاقة و36 منجماً و40 مصنعاً و3 سفن و3483 عقار غير منقول وأسهم الدولة في 94 شركة عامة وخدمة فحص المركبات للترخيص بقيمة تقارب الـ60 مليار دولار، لا بد من البحث كيف أنفقت، وما إذا كانت الديون ستكون أكبر من دونها، أم أنها بُددت هنا وهناك، أم أن بعضها على الأقل بات جزءاً من الاحتياطي النقدي للدولة؟! يضاف أن وسائل الإعلام نقلت في 15 آب 2016 أن لجنة برلمانية تركية أقرت خصخصة أكثر من 100 مؤسسة حكومية تركية، منها الإدارة العامة لمزرعة غابات أتاتورك، ومراكز أتاتورك الثقافية، والإدارة العامة لحرس السواحل، ورئاسة المرافق الرياضية، وقنوات «تي آر تي» الحكومية، والإدارة العامة لمسارح الدولة، والإدارة العامة للأوبرا والباليه، والإدارة العامة للشؤون المائية، والإدارة العامة لهيئة الفحم الحجري، والإدارة العامة لمطارات الدولة، وهيئة قروض التعليم العالي والمساكن الطلابية، وإدارة التنمية الإقليمية (صحيفة "الشرق الأوسط"، 15 آب 2016).

ثم تم الإعلان في 21 شباط 2018 عن مزاد عام لبيع 14 مصنع سكر تملكه الدولة، وعن مزاد لبناء وتشغيل طريق سريع في غرب تركيا، وهو ما يفترض أن يذكرنا أيضاً بمدى التزام نظام أردوغان الإخواني بأيديولوجية "تحرير السوق"، ولسنا هنا بصدد معالجة البنية الطبقية للمجتمع التركي والتحولات التي طرأت عليه في ظل نظام أردوغان، لكن تجدر الإشارة أن قطاعات رئيسية من الاقتصاد تمت خصخصتها في العام 2005، منها مصفاة النفط الرئيسية في تركيا، وشركة الاتصالات الرئيسية (تورك تليكوم)، وفي عام 2009 عندما تم بيع شركة التبغ التركية لشركة التبغ البريطانية الأمريكية (التي تصنع سجائر روثمانز وكنت وبول مول وغيرها)، وتم إلقاء 10000 عامل في الشارع، اشتعلت الإضرابات العمالية على نطاق واسع على مدى شهرين ونصف الشهر، أما في نهاية شهر كانون الثاني من العام الجاري، عندما شرع 130 ألف عامل بإضراب عام، فقد فعّل نظام أردوغان قانون الطوارئ لمنعه بذريعة "الأمن القومي"، وهو ما يسوق للمستثمرين الأجانب باعتباره "بيئة جاذبة للاستثمار"!

وبالعودة إلى الرابط بين تفاقم مشكلة الدين الخارجي وسياسات أردوغان الرامية لتحسين شعبيته وأسهمه الانتخابية من دون أخذ صحة الاقتصاد طويلة المدى بعين الاعتبار، تقدم أردوغان ببرامج "حوافز"، كان منها بالأخص ضمانات قروض تقدمها الدولة، لتسهيل الاقتراض من البنوك على المواطنين. لكن من أين ستأتي الأموال اللازمة لتلك القروض إذا كان معدل الادخار (كنسبة من الدخل) في تركيا قد أصبح من أقل المعدلات في العالم، أقل حتى من إفريقيا جنوب الصحراء، وإذا كان معدل الاقتراض قد انخفض من أكثر من 22% من الدخل في التسعينيات إلى أقل من 14% من الدخل في السنوات الفائتة؟! مرة أخرى، ثمة توازن ضروري بين الادخار (الإيداعات المتوفرة) والطلب على الاقتراض، فلا يمكن إرسال هراء مجاني عن توفير قروض للجميع من دون توفر إيداعات قابلة للإقراض محلياً، وإلا فإن البديل هو الاقتراض من الخارج، ولنا أن نتأمل في أرقام البنك الدولي في اللوحة أدناه لأخذ فكرة أفضل عن وضعيه المدخرات، التي تتحول إلى إيداعات قابلة للإقراض، في تركيا عبر السنوات.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

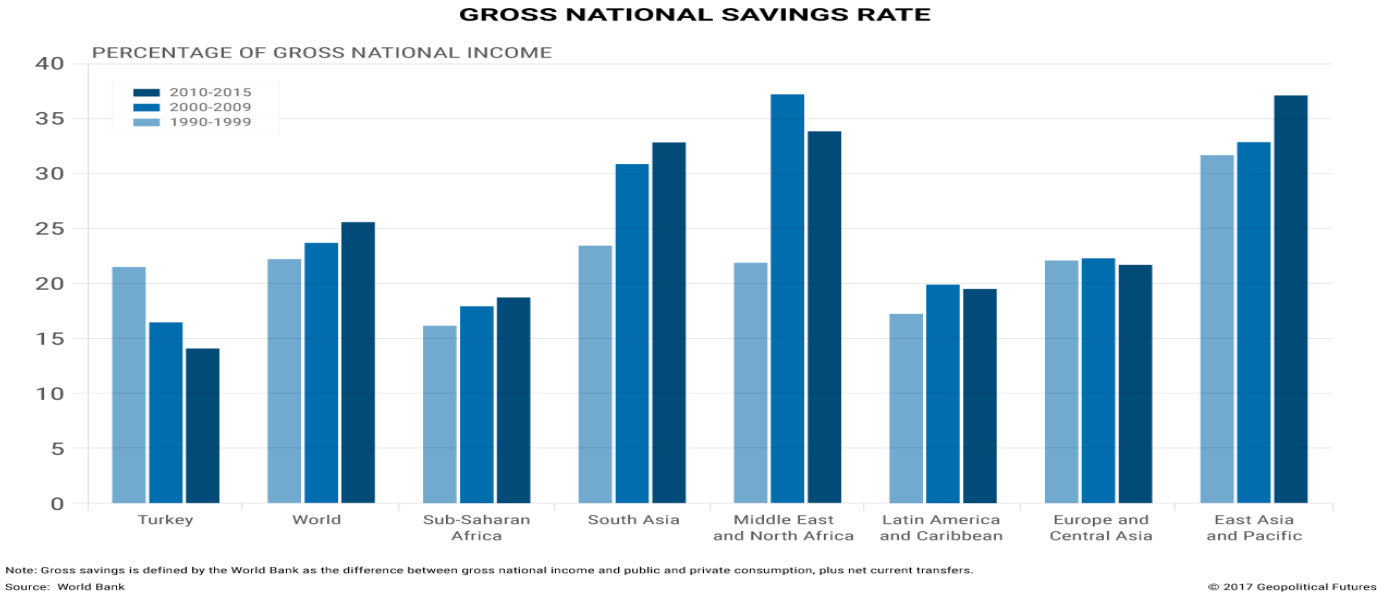

ليست العبرة إذاً في تقديم تسهيلات مصرفية لا يمكن تمويلها إلا من خلال رفع سعر الفائدة لاجتذاب المزيد من الإيداعات، وهو ما حدث في تركيا فعلياً، حيث أن سعر الفائدة على الإيداعات في تركيا من أعلى المعدلات في العالم، أو من خلال اقتراض البنوك التركية من الخارج، حيث معدل الفائدة أقل بكثير مما هو في تركيا، وهذا التوسع بالاقتراض من الخارج هو العامل الرئيسي، وليس الوحيد، للارتفاع الجنوني في الدين التركي الخارجي مؤخراً. أردوغان هنا كان يتبع سياسة ترهن المستقبل للبنوك والشركات الأجنبية والمؤسسات الاقتصادية الدولية، أي قام ببيع مستقبل البلاد لشراء حاضره الانتخابي، فهل تفلح هذه المقامرة دوماً، وهل جاء موعد دفع الثمن في الانتخابات الرئاسية والتشريعية المبكرة التي دعا إليها أردوغان في 24 حزيران المقبل؟ هذا ما سنراه. ولأخذ فكرة أفضل عن الفارق النوعي بين معدلات الفائدة على الإيداعات في تركيا وبقية الدول إليكم هذا الرسم البياني من إحصائيات البنك الدولي.

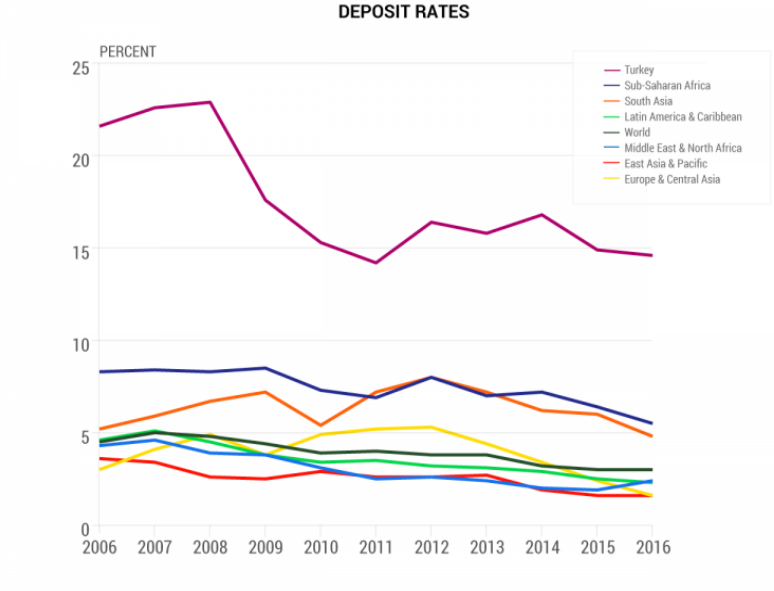

لا شك في أن سياسات نظام أردوغان إذاً مسؤولة عما آلت إليه الليرة التركية من انهيارات، وعن الخطر المتعاظم للدين الخارجي، ولكن ثمة نقاط ضعف أيضاً في بنية الاقتصاد التركي تؤدي بالضرورة إلى نشوء هذه المشاكل فالعوامل السياسية الخارجية والداخلية، على أهميتها، ليست بديلاً عن قراءة العوامل الاقتصادية والمالية البنيوية التي تتحكم بأسعار العملات (أو النفط أو الأسهم أو غيرها). ومشكلة بعض المحللين تكمن بإحالة تذبذب الأسعار إلى عوامل اقتصادية فحسب، دون السياسية، أو العكس، مما يمثل قصوراً في الحالتين، فيما المطلوب الإحاطة بكل العوامل، الاقتصادية وغير الاقتصادية، التي تؤثر في الأسعار، ومنها أسعار صرف الليرة التركية مؤخراً.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

وفي عام 2011 أشرت لبعض عوامل الضعف البنيوي في الاقتصاد التركي تحت عنوان "الاقتصاد التركي لا معجزة ولا لغزاً"، أسردها أدناه مع بعض التحديث، ومنها أن:

1) العجز في الحساب الجاري التركي لم يبلغ قبل وصول حزب "العدالة والتنمية" للحكم أكثر من عشرة مليارات من الدولارات سنوياً، فأصبح 47 مليار دولار عام 2010 (و65 ملياراً عام 2013، ومن ثم حوالي 46 مليار عام 2014 بسبب انخفاض أسعار النفط أساساً، ثم انخفض إلى أقل من 33 مليار دولار عام 2016، ثم وصل إلى أكثر من 47 مليار دولار عام 2017)، ومثل هذا العجز يشكل ضغطاً بنيوياً رهيباً على سعر صرف الليرة، لأنه يعني أن الأتراك ينفقون في الخارج أكثر بتلك المليارات مما ينفق العالم عندهم، مما يجعل الطلب عليها أقل من عرضها،

2) السبب الرئيسي لذلك العجز في الحساب الجاري هو العجز في الميزان التجاري التركي، أي زيادة الواردات على الصادرات (إلا مع بعض الدول العربية)، الذي نما بشكل انفجاري في ظل العدالة والتنمية، ليبلغ 56 مليار دولار عام 2010، (وحوالي 80 مليار عام 2013، وحوالي 64 مليار عام 2014، و41 مليار دولار عام 2016، وأكثر من 77 مليار دولار عام 2017)،

3) ما يعوض ذلك بنيوياً هو تحويلات الأتراك العاملين في الخارج، والسياحة في تركيا، والأهم، تدفقات القروض ورأس المال الأجنبي (الأوروبي أساساً) إلى تركيا. وقد انهمرت رؤوس الأموال الأوروبية على تركيا منذ مجيء حزب العدالة والتنمية للحكم، لترتفع الاستثمارات الأجنبية المباشرة من 10 مليار دولار عام 2005 إلى 22 مليار عام 2007 إلى حوالي عشرين مليار عام 2008، لتنخفض بشدة بعدها بسبب الأزمة المالية الدولية، وقد بلغت 9 مليار عام 2010 (وحوالي 12 مليار ونصف في كلٍ من العامين 2013 و2014، وارتفع إلى أكثر من 13 مليار دولار عام 2015، وبقي تحت الـ13 مليار دولار في الأعوام التي تلت). أي أن تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى تركيا تقلص بحدة بسبب الأزمة المالية الدولية، وحروب تركيا في المنطقة، مما مهد لضرب الليرة التركية بنيوياً، لكن جوهر المشكلة يبقى أن تركيا، التي تعتبر من عداد الدول المصنعة حديثاً، تبني سمعتها الاقتصادية على أسس واهية يصعب أن تدوم في المستقبل.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

عزل مصر وغياب الدور المستقل.. هي المؤامرة

السيد شبل

انكفاء مصر داخل حدودها، وانسحابها من دورها العربي والإقليمي، أو غياب الدور المستقل عند تنفيذ مهمات "خارجية"، يعني بالضرورة أنها ستخسر حدودها ذاتها مع الوقت، وهذا ما اكتشفه الملك المصري تحتمس الثالث (عبد الناصر زمنه) منذ 36 قرناً، عندما عرف أن الدفاع عن سيناء المصرية يجب أن يبدأ من جبال طوروس شمال الشام، وكان في مساره ذلك يؤسس لنظريات الأمن القومي الحديثة والواقعية.

العروبة إذن ليست خياراً، كما بالضبط فلسطين ليست "دولة شقيقة". فلسطين في مصر، كما مصر لا يمكن أن تكون وطناً متكاملاً إلا بفلسطين المحرّرة والعربية. فلسطين مساحتها التاريخية (من النهر إلى البحر: الضفة الغربية + غزة + الأرض المحتلة منذ 1948) تبلغ نحو 27 ألف كم2، أي أقل من نصف شبه جزيرة سيناء التي تبلغ مساحتها حوالي 61 ألف كم2، ومشاهدة الخريطة تؤكد أن سيناء لا يمكن - لا يمكن قاطعة - أن تكتمل دون أن يتم وصلها بالشام، وأن هذا الخط الواصل بين خليج العقبة ورفح باعتباره "حدوداً" هو خط مفتعل، وأعرج، ووهمي بالكلية على مستوى الجغرافيا والسكان والطبيعة نفسها.

في الحقيقة فإن مصر تؤكد عروبتها وتفرض اتصالاً بمحيطها، بدرجة أوضح خارج مثلث الدلتا، وعندما تعبر كوبري السلام أو نفق الشهيد أحمد حمدي، لا بد ستتساءل أين أنت في مصر أم الشام، وذات الأمر فيما يتعلق بإحساسك في مطروح مع ليبيا، والصعيد مع جنوب الجزيرة العربية وشمالي السودان.

كل من يهاجم انتماء مصر لمحيطها، وينفّر من هذا المسار، هو متآمر بالضرورة على مصر ذاتها، وواقعياً هو لا يسعى سوى لإضعاف البلد، وخلخلته، وعزله عن الدوائر التي يمكن أن تحصّل منها القوة، لينتهي به الحال ذليلاً على عتبة أي عاصمة غربية. كما أن مصر طوال تاريخها تمارس أدواراً "خارج حدودها"، الفارق هو الاستقلال عند تنفيذ هذه الأدوار، فمصر (عبد الناصر) خرجت لتدعم ثورة الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، ولتنصر ثورة اليمن الطموحة في مطلع الستينيات، ولتدعم حركات التحرر الإفريقي، ومصر (بعد عبد الناصر) خرجت، أيضاً، لكن لتشارك في "حفر الباطن" بتحالف تقوده الويلات المتحدة في 1991، أو في الهجوم على ليبيا في يوليو 1977، أو في تنفيذ مهمات لصالح نادي السفاري الذي أشرفت عليه المخابرات الغربية بغرض إجهاض التجارب الاشتراكية في إفريقيا. وجرت العادة أن الذي يهاجم دور مصر، يهاجم هذا الدور عندما يكون مستقلاً، ولمصلحتها، ولمصلحة أمتها العربية، والعالم الثالث المقاوِم.. فيما سوى ذلك هو في صفّه.

وقد أثبتت تجربة "تيران وصنافير" أن أغلب الذين أعلنوا قطيعتهم مع العروبة ونفّروا منها تحت دعاوى "الدفاع عن مصر"، هم ذواتهم الذين أيّدوا التفريط بالجزيرتين بحماسٍ لافت، وأن العكس بالعكس، وهذا منطقي بالنظر إلى أنّ من دافع عن انتماء مصر لقوميتها ومحيطها، كان يبحث عن تعزيز قوة بلاده، فكان من الطبيعي أن يقاوم انتزاع جزء من أرضها لصالح منظومة حكم رجعي وتابع ومتصهين، ممثلًا في آل سعود.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

المصري الذي يعزل نفسه عن قضايا أمته، بذريعة أنها «دول أخرى» لا تخصه، يجهل خريطة مصر على مدار التاريخ، وأين كانت حدودها في الدولة الحديثة (مصر القديمة) والطولونية والفاطمية والأيوبية والمملوكية..، ولا يعرف شيئاً عن ثوابت الأمن القومي، كما أن هذا الشخص يجهل الدور الوظيفي للكيان الصهيوني في إجهاض أي مشروع وحدودي عربي (الوحدة شرط التقدّم) أو تنموي في المنطقة.

هو لم يقرأ غالباً عن هنري بالمرستون، وزير خارجية بريطانيا من 1830 لـ 1841م، وكيف أنه حرّض على نشوء الكيان رداً على تجربة محمد علي ونجله إبراهيم الطموحة على المستوى الوحدودي والتصنيعي والتحديثي.

الواقع، وليس شيئاً آخر، يقول أن المصانع التي تمت خصخصتها في مصر، وتوقف عجلة التنمية الصناعية، وتراجع مخططات الاستصلاح الزراعي، والطائفية التي تنامت في المجتمع، ومشروع الصعود الذي تعرقل وعلى جثته تنفس الرجعيّون والسلفيّون الجهلة، والبطالة التي تفشت، وتدمير منظومة التعليم الحكومي لصالح الخاص.. إلخ، كلها أعراض مرتبطة بالانسحاب والتقوقع، وبالخضوع لمنظومة الهيمنة الأجنبية الداعم الأول للكيان الصهيوني الذي يلعب دور كلب حراسة لها، ولا شك أن تصدّر ممالك الخليج الرجعية للمشهد العربي مرتبط أساساً بالتدخل الاستعماري المتكرر الذي أجهض كل تجربة تقدميّة، وقطع الطريق على تطوّرها.

نعود لنقول أنه بمنتهى الوضوح والواقعية معاً:

المصري الذي يبيع فلسطين وليبيا وسورية واليمن..

هو ذاته الذي يصطف خلف واشنطن على المستوى الأممي، وينسحب من أي قضية نضالية ضد الناهب الغربي في آسيا أو أمريكا اللاتينية أو عمق إفريقيا،

وهو ذاته الذي هلل للتفريط بتيران وصنافير،

وهو ذاته الذي بارك كامب ديفيد التي تترك أغلب سيناء بلا سيادة،

وهو ذاته الذي يحنّ للاحتلال الإنجليزي لمصر من بعد هزيمة الثائر الوطني أحمد عرابي،

وهو ذاته الذي سيؤيد بالضرورة أي تدخل عسكري غربي يقصف مصر نفسها لو كان هذا التدخل لنصرة طائفته الدينية أو السياسية،

وهو ذاته الذي لن يجد غضاضة في التفريط بأي قطعة أرض مصرية.

كل التبريرات التي يقدمها هذا الصنف الذي يصطف خلف الصهيوأمريكي، في كل موقعة مواجهة على الصعيد العربي بل والأممي، من نوع «لا دخل لنا» و«هناك نصوص دينية تؤيد النأي بالنفس - وهي مسخرة يرددها أحياناً أبناء أسر مسلمة كما مسيحية -»، كل هذه التبريرات محض لغو فارغ، وتغطية على الداء الأصلي المتمثل باحتقار الذات، والخنوع، والقبول بهيمنة الآخرين، والرضا بالذل، وضعف الطموح.. وهذا الداء، الذي هو ألعن ما واجه البشرية على مر تاريخها، وعطل تطوّر أي مجتمع أصيب به، مرة تظهر أعراضه بفلسطين، ومرة تظهر في غيرها.

فمما لا شك فيه أن أي مصري لا يتفاعل مع الصراع العربي الصهيوني، لو سألته عن نظرته للتاريخ ستجده مؤيداً للاحتلال الإنجليزي لمصر.. وهذا يكشف أن هناك داء أصلي - له علاقة بغياب الغيرة والكرامة الذاتية – يتحكم في صاحبه، وهو يبحث له عن مبررات، لا أكثر.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

العروبة، التي نعنيها، ليست أيديولوجيا بالمعنى الضيق، بل هي هوية حضارية للم الشمل والتجميع وحيازة القوة، وليست دعوة إثنية للانفصال وشرذمة البلدان أو تأسيس تحالفات لخوض صراعات على أسس ثقافية وإثنية مع الجيران. القومية، التي نطرحها، هي ضد الناهب الدولي، القوماوية الأخرى هي لخدمته.

وكما أنها ليست أيديولوجية، بالمعنى الضيق للتعبير، هي ليست خياراً، بل هي واقع يفرض نفسه.. حتى "الربيعي" في مصر وسورية وتونس، ورغم خلفيته الإسلاموية والليبرالاوية، لم يكن أمامه بُدٌ من تسمية "ربيعه" بـ العربي، وعندما وقعت أحداث تونس في نهايات 2010، تساءل الكل في مصر (أتباع النظام وأنصار المعارضة)، هل تتكرر في مصر؟.. لماذا عندما وقعت في تونس "بالتحديد" تأثّرت مصر؟، هل لو كانت قد وقعت باليونان أو الكاميرون.. كانت مصر لتتأثر لتلك الدرجة؟ (طبعاً دون شطب التاثير الأممي). حتى الساداتي، الذي يكره العروبة، يجد نفسه، اليوم، مشدوداً للملف الليبي والسوداني والفلسطيني، ويعرف كيف أن انهيار الدولة في ليبيا، عقب تدخل الناتو وتعويم الحركات "السلفية الجهادية"، قد أثّر على أمنه القومي بالسلب، وأن وجود نظام إخواني في السودان مثّل حاضنة لخصومه اليوم.. وإلخ، بما يعني أن الدعوة الانعزالية، لا يمكن لها -عملياً- أن تتحقق.

أنت عندما تنكر العروبة، لن يتغير شيء، ستبقى لغتك عربية، وموقعك الجغرافي كما هو، وتاريخك على ذات المنوال. يعني لن تصير أوروبياً مثلاً، أو من أمريكا الجنوبية.. الذي يحصل فقط عندما تُنكرها، هو أنك تنحبس خلف حدودك، وتصير لقيطاً يتسوّل التأييد والحماية من البيت الأبيض، بعد أن خسرت حاضنتك القوميّة، ومجال عملك الذي منه تحصّل قوتك.

المصري، مثلاً، الذي لا يعترف، بتأثير من الساداتيّة والإسلامويّة، بعروبته، هو أول الباحثين عن شقيقه العربي عندما يسافر إلى أوروبا، لأنه يشاركه اللغة والموضوعات التي يمكن التحدّث فيها (ولو مباريات كرة القدم)، والثقافة.. إلخ. وهو عندما يسافر للعمل في بلد عربي لا يسميّه أهله مغترباً، على عكس ما لو غادر الوطن العربي.

الدعوة ليست لقومية انعزالية أنانية مُعتدية، بل لوسيلة للتجميع، ولم الشمل، وحيازة القوة لصد الاعتداء. ولا تعارض، في هذا السياق، بين القومية والأممية. القومي الجيد (التجميعي المقاوم)، هو أممي جيّد. والتأثير الأممي لا يمكن نكرانه، وإلا لما كان العديد من الأشخاص على مواقع التواصل يبدّلون صورهم الشخصية إلى صورة الكوري "كيم جونغ أون" لأنهم يرون فيه مثالاً للقائد الوطني القادر على مناطحة أمريكا وتحديها والتسلّح بما يرهبها دون الاعتداء على بلاده.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

شخصية العدد: هــواري بــومــديــن (بوخروبة)

فؤاد بدروشي

”إن كل تقدم يحرزه أي قطر عربي في البناء الذاتي وضرب المصالح الأجنبية المستغلة إنما هو تعزيز للأمة العربية وجزء من كفاحها يدعم تحررها ويضمن تحقيق مطامح شعبها المتعطش للانتصار والرقي والتقدم.“

عبارات خالدة للزعيم الوحدوي الراحل هواري بومدين تنم عن وعيٍ عميقٍ لصاحبها وتلخص جوهر انتمائه وتاريخه..

اسمه الحركي ”هواري بومدين“ والحقيقي محمد إبراهيم بوخروبة وهو أحد النجوم المضيئة في تاريخنا العربي وأحد أبرز الزعماء العرب الذين وقفوا بشموخ في وجه الغطرسة الغربية وهو ثاني رئيس للجزائر عقب ثورة التحرير الجزائرية.
ولد هواري بومدين ”ابن الفلاح“ في الثالث والعشرين من شهر آب/أغسطس سنة 1932 – لعائلةٍ بسيطةٍ وختم القرآن في المدرس القرآنية وزاول تعليمه بالتوازي في المدرسة الفرنسية.

كان لبومدين مواقف في شبابه تدل على أصالة معدنه خاصة عندما رفض أداء الخدمة العسكرية تحت الاحتلال الفرنسي وكانت فرنسا تعتبر الجزائريين مواطنين فرنسيين وتلزمهم بأداء الخدمة العسكرية، لذلك قرر بومدين الهرب إلى تونس ومنها إلى مصر مرورا بليبيا وكانت رحلة ساهمت في بلورة وعيه القومي.

في مصر جمع ال”هواري“ بين التعليم والنضال السياسي كمناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري، كما كان فاعلاً في مكتب ”المغرب العربي الكبير“ الذي أسسه زعماء من تونس والمغرب والجزائر بهدف محاربة الاحتلال الفرنسي وتعاهدوا على ألا يتركوا السلاح حتى تحرير كل شبر في المغرب العربي، حيث كانت إحدى مهام هذا المكتب هيكلة وتكوين الطلبة المغاربة خارج المغرب العربي.

ومع اندلاع ثورة التحرير الجزائرية انخرط فيها بكل طاقاته بعد التدريب الذي تلقاه في القاهرة واختياره هو وعدد من رفاقه لمهمة تنظيم الكفاح المسلح، واسم الهواري بومدين بالمناسبة هو اسمه الحركي الذي رافقه ولازمه حتى بعد تحرير الجزائر.

لا تخلو الصفحات المضيئة في تاريخ حركات التحرر الوطني من بعض الأخطاء في التقدير والإنجاز، ولا تخلو من خلافات تنشب بين رفاق الدرب الواحد قد تخرج عن السيطرة وتشط بعيداً عن الحكمة والتريث، ولكن هذه الأخطاء وإن عظمت تبقى أخطاءً ولا ترتقي إلى منزلة الخيانات حيث اختلف العديد من زعماء الأمة حول كيفية إدارة مقدرات الوطن ولكنهم لم يختلفوا حول الوطن ولم يقوموا يوماً ببيع ذرة واحدة من تراب الوطن لقوى الهيمنة الخارجية.

وتلتزم لائحة القومي العربي في تقييمها للصراعات التي تنشأ في صفوف الثورة بموقف وحدوي متميز، حيث أنها ترفض أن تنخرط في أي صراع عربي-عربي ولا ترجح كفة على أخرى معتبرةً كل زعماء الأمة شموعاً مضيئة في تاريخ أمة العرب لهم ما لهم من إنجازات عظيمة وعليهم ما عليهم.. وأخطاؤهم نجعل منها دروساً وعبر حتى لا

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

تتكرر، ولكننا نكرمهم جميعا بلا استثناء ونعتبرهم رموزاً لنا، من جمال عبد الناصر إلى بن بلة وبومدين وشهيد الأمة صدام حسين وحافظ الأسد والعقيد الشهيد معمر القذافي وغيرهم من زعماء العرب الذين لم يتمكنوا من اعتلاء السلطة في باقي الأقطار العربية.

استلم هواري بومدين منصب رئيس الجمهورية في يونيو 1965 بعد انقلاب عسكري على أحمد بن بلة والذي دبره مع طاهر زبيري وما عرف بـ"مجموعة وجدة"، بعيداً عن الخوض في تفاصيل الخلاف في صفوف رفاق السلاح.

يهمنا أن يطلع القارئ العربي على بعض إنجازات الزعيم هواري بومدين أثناء حكمه:
يعتبر الرجل من أبرز رجالات السياسة في الجزائر والوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وأحد رموز حركة عدم الانحياز، وقد لعب دوراً هاماً على الساحة الإفريقية والعربية، وكان أول رئيس دولة من العالم "الثالث" تحدث في الأمم المتحدة عن نظام دولي جديد.

يكفي الرجل فخراً أنه وقف على منبر الأمم المتحدة لأول مرة بجرأة وشجاعة وألقى كلمته بلغة عربية فصيحة، ولما جادلوه فى ذلك محتجين بأنهم لم يفهموا ما قاله لهم قال: إن أرادوا أن يفهموا ما قلت فليترجموا خطابي إلى لغاتهم، ودعا بشدة إلى تعريب المدارس والجامعات وعدم بقاء اللغة العربية لغة الغراميات والشعر فقط .

استغل الراحل بومدين وجوده فى مصر للدراسة، فلم يكن توجهه إلى القاهرة من أجل التعلم فى الأزهر الشريف فحسب، و كان همه الأول هو التعرف على العالم، وبعد قيام الثورة المصرية، ولم يكن بومدين حينها قد جاوز الثالثة والعشرين، التقى عبد الناصر الذى دعّم الثورة الجزائرية، وكان يقف وراء «بن بيلا» بقوة ويعتبره مصرياً يمكنه المساهمة فى بناء الأمة القومية العربية فى المغرب العربى على حد تعبير جمال عبد الناصر، إلى أن سحب بومدين البساط من تحت أقدام بن بيلا فى يونيو، ولم تمض سوى بضعة أسابيع حتى صار جمال عبد الناصر الصديق الأول لبومدين القوي .

فى مصر خصوصاً، وبمجرّد أن يُذكر اسم الرئيس الجزائرى المناضل الراحل هوارى بومدين، يشعر المصريون بالفخر والاعتزاز برجلٍ من زمن عبد الناصر آمن بالوحدة العربية التى لم تتحقق بعد، وهو من الشخصيات التاريخية المهمة التى تحظى بحب العرب لأنه ناضل وكافح وجاهد فى سبيل طرد الاحتلال الفرنسى من بلاده، وكان أحد أقطاب الثورة الجزائرية، كان وسيظل رمز البطولة والاستشهاد والفداء وسيظل راسخاً فى أذهان المصريين قبل الجزائريين والعرب.

ساندت حكومة ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر ثورة الجزائر ضد الاحتلال الفرنسى، وأُعلنت الثورة الجزائرية من القاهرة عام 1954، وقدمت مصر دعماً كبيراً لها سياسياً وإعلامياً وعسكرياً، وحينها قامت مصر بتبنى قضية الجزائر فى المؤتمرات الدولية للتأكيد على شرعية وعدالة المطالب الجزائرية، وتعرضت بسبب مواقفها المساندة للثورة الجزائرية لعدة أخطار أهمها العدوان الثلاثى عام 1956 وقيام فرنسا ببناء القوة الجوية للكيان الصهيوني الذي زودته بالقدرات النووية انتقاماً من مصر .

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

اتجه بومدين لخطة التعريب من أجل نزع ثقافة المستعمر، فكانت المدرسة العربية التي ساهم فيها الأشقاء العرب من مصر وسورية وفلسطين والعراق في تربية وتعليم النشء الجزائري لغته العربية، ودينه الإسلامي، لأن بومدين كان يؤمن بمقولة شيخ النهضة الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس: شعب الجزائر مسلمٌ وإلى العروبة ينتسب.

نقل بومدين الجزائر من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة، حيث اختار الاشتراكية منهجاً اقتصادياً واجتماعياً لإنصاف أبناء الجزائر الفقراء، الذين حرموا من خيرات بلادهم، فكانت الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة الثقافية، واستطاع في فترة حكمه القصيرة بناء ألف قرية زراعية لصغار الفلاحين.

توفي بومدين صاحب شعار «بناء دولة لا تزول بزوال الرجال» في السابع والعشرين من شهر كانون الأول/ ديسمبر سنة 1978 عن عمر ناهز الستة وأربعين عاماً بعد صراع مع مرض غامض عجز الأطباء عن علاجه موجهين أصابع الاتهام لأجهزة المخابرات الغربية بتدبير اغتياله في عملية شبيهة بما حصل للزعيم الفنزويلي هوغو تشافيز.

أصيب هواري بومدين بمرض استعصى علاجه وقلّ شبيهه، وفي بداية الأمر ظن الأطباء أنّه مصاب بسرطان المثانة، غير أن التحاليل الطبية فندّت هذا الادعّاء وذهب طبيب سويدي إلى القول أن هواري بومدين أصيب بمرض « والدن ستروم » وكان هذا الطبيب هو نفسه مكتشف المرض وجاء إلى الجزائر خصيصاً لمعالجة بومدين، وتأكدّ أنّ بومدين ليس مصاباً بهذا الداء.. وهناك الكثير من التوجهات التي تؤكد أن الثائر والرئيس الراحل مات مسموماً .. وقد مات هواري بومدين في صباح الأربعاء 27 كانون الأول – ديسمبر – 1978 في الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة فجراً.

بومدين هو الرجل الذى قال له كيسنجر: «سيادة الرئيس أمريكا تعرف أنك لا تخاف أمريكا»، وهو صاحب المقولة الشهيرة التى كانت شعاراً للاستراتيجية الخارجية للجزائر: "نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة".

يبقى الهدف من هذا النوع من المقالات التي ننشرها في "طلقة تنوير"، والتي تتناول جزءاً يسيراً من سيرة زعماء التحرر الوطني في الوطن العربي والعالم هو تعريف القارئ العربي أن أمتنا العربية ولّادة، وكما أنجبت جيلاً من القادة العظام، فإنها ستنجب جيلاً جديداً قادراً على متابعة المسيرة في درب التحرر الوطني حتى تشرق شمس الوحدة والتحرير والنهضة على واحدة من أعظم الأمم التي خلقت في قلب العالم جغرافياً وحضارياً والتي لا تزال تقف صامدةً بشموخ ولم تندثر رغم كل أبواب الجحيم التي فتحت عليها.

ونختم بمقولة رائعة للزعيم العربي الجزائري بومدين:

"لنا إخوان في المشرق يعيشون حالة قاسية وإخواننا يواجهون مشاكل الاحتلال، مشاكل قتل الأطفال والاعتداء على شرف وحرمة أخواتنا العربيات وحتى في بيت المقدس نفسها، فهذه الحالة لا بد أن تزول في يومٍ من الأيام، نؤكد مرة أخرى تضامننا مع الشعب العربي في كفاحه ضد الاستعمار وضد الصهيونية وضد الإمبريالية، ولا يمكن أبداً أن يكون هناك تضامن في الاستسلام، فالتضامن مع الكفاح نعم، تضامن في التضحيات نعم، تضامن في الاستسلام لا."

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

الصفحة الثقافية:
واقع الدراما السورية قبل الحرب

طالب جميل

في العقدين الأخيرين سطع نجم الدراما السورية بشكلٍ لافتٍ ومثيرٍ للانتباه واستطاعت حجز مساحة واسعة لدى المشاهد العربي الذي ظل أسيراً لسنوات طويلة للدراما المصرية التي كانت الأكثر حضوراً بحكم كثرة إنتاجها وسيطرتها على كثير من القنوات الفضائية العربية. وقد برزت قوة وجمالية الدراما السورية من خلال قدرتها على تقديم أفكار جديدة لم يعتد المشاهد العربي كثيراً على رؤيتها تقدم على الشاشة بمضمون يحترم عقل المشاهد ووعيه، بالإضافة إلى براعة الممثلين السوريين في تقديم أداءٍ لافتٍ ومبهرٍ ومقنع، كما شدّت المشاهد بالتصوير الحِرَفي والقدرة على تقدم صورة بصرية جميلة من خلال التصوير في أماكنَ حقيقيةٍ تعكس واقع وحال الناس، واستطاعت الدراما السورية ترسيخ ظاهرة البطولة الجماعية في العمل والتقليل من فكرة البطل المطلق في العمل والذي تتمحور قصة العمل حوله وقد نجحت في ذلك لدرجة كبيرة ومقنعة.

ونتيجة لحالة النهوض التي مرت بها الدراما السورية، أصبح العمل السوري المطلوب رقم واحد لدى القنوات والمحطات الفضائية، لا سيما أن التميّز الذي حدث انعكس على أغلب أنواع الأعمال الدرامية، فالأعمال الكوميدية تناولت أفكاراً جديدة وتجاوزت مرحلة الكوميديا السطحية والتهريج وأصبح يقدم فيها كوميديا سوداء تحمل أفكاراً عميقة وتستند على نصوص لكتّاب ومؤلفين سوريين وعرب وعالميين، وارتفع فيها سقف السخرية والنقد بجرأة غير معتادة ولعل أعمال مثل (مرايا / ياسر العظمة) و(بقعة ضوء / لأيمن رضا وباسم ياخور كأصحاب فكرة العمل)، و(ما في أمل، ضيعة ضايعة / للكاتب ممدوح حمادة) خيرُ دليلٍ على ذلك.

أما على مستوى الأعمال الدرامية ذات الطابع الاجتماعي، فقد حققت تلك النوعية من المسلسلات نجاحات كبيرة لا تقل أهمية عن غيرها من الأعمال الأخرى، فقد تناولت نصوصاً مهمة تعكس واقع الحياة الاجتماعية في سورية، وتسلط الضوء على مشاكلهم وهمومهم وقضاياهم المعيشية اليومية، واستطاعت تلك الأعمال إبراز صورة المواطن السوري بشكل مطابق للواقع وغير منفصل عن محيطه العربي، بالإضافة إلى ارتفاع مستوى الحوارات في تلك الأعمال مما يعكس جودة النص والقدرة الفائقة على الولوج أكثر في قضايا المجتمع وارتفاع مستوى الوعي والثقافة لدى المواطن السوري، مع ضرورة الإشارة هنا إلى أن أغلب الأعمال ذات الطابع الاجتماعي لم تكن تخلو من أي تفاصيل وإسقاطات سياسية ذات علاقة بالشأن السوري أو العربي تحديداً، وهذا مؤشر حقيقي على ارتفاع مستوى الحرية والنقد إلى حد ما، فأصبحت أعمال مثل (الفصول الأربعة، ذكريات الزمن القادم، الانتظار، غزلان في غابة الذئاب، الولادة من الخاصرة) وغيرها، يشار لها بالبنان ضمن هذا السياق.

أما بالنسبة للأعمال التاريخية، فقد أحدثت الأعمال السورية التي قدمت في هذا المجال صدمةً حقيقيةً لدى المشاهد العربي نظراً للمستوى العالي الذي قُدمت به تلك الأعمال، فقد تم إنجاز أعمال تاريخية مهمة بطريقة جديدة مغايرة للطريقة التي قُدمت بها بعض الأعمال العربية في هذا الجانب من حيث الشكل والمضمون، حيث تم الاشتغال على

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

النص بحيث يقدم بطريقة أكثر مقاربةً للحقيقة وقدمت الشخصيات التاريخية بقراءات أكثر منطقية، أي أنها ظهرت بصورتها الطبيعية وبحسناتها وعيوبها من دون أي تقديس غير مبرر، إضافة إلى الاهتمام بالتفاصيل حيث تجاوزت هذه الأعمال حالة التقشف في المشهد البصري وظهر مكياج الشخصيات بطريقة واقعية ومقنعة، أما التصوير فتجاوز الأماكن المغلقة والاستوديوهات الصغيرة والديكورات الفقيرة، فظهرت هذا الأعمال بصورة قوية ومقنعة ومدهشة للمشاهد، ولعل أعمال مثل (الزير سالم، ربيع قرطبة، الحجاج، ملوك الطوائف، العبابيد، صقر قريش) ما زالت خالدة في الذاكرة وتؤكد على ما ذكر.

وهنا لا بد من التأكيد على أن النجاح الذي أصاب الأعمال التاريخية السورية هو استكمال للنجاح الذي حدث للأعمال الفانتازية التي ظهرت في مطلع التسعينيات وكانت (ماركة سورية مسجلة) بامتياز، حيث أحدثت في حينها ثورةً حقيقةً في الدراما العربية ساهمت في صناعة انقلاب مهم وجذري في وعي المتلقي العربي، فقد تناولت التاريخ ضمن سياقات ومسارات جديدة خارج الزمن والجغرافيا، واستحضرت الأساطير والحكايات الشعبية التي تشبه إلى حد كبير قصص (ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة)، وبلغةٍ عربيةٍ فصحى وبليغة، وبصورٍ واستعاراتٍ مدهشةٍ وصادمة في نفس الوقت، وكانت أقرب ما تكون إلى المسرح الرمزي المليء بالدهشة واستفزاز المخيلة ومحاكاة العوالم الداخلية، ويحسب للثنائي (المخرج نجدت أنزور والكاتب هاني السعدي) الفضل الكبير في صناعة هذا النوع من الدراما حيث قدما أعمال مهمة ضمن هذا الإطار مثل (الجوارح، الكواسر، الموت القادم من الشرق).

وضمن نفس السياق التاريخي لا بد هنا من الإشارة إلى بعض الأعمال التاريخية الملحمية التي صنعت في سورية وروت قصة كفاح السوريين والعرب ضد الاحتلال والهيمنة العثمانية مثل (أخوة التراب، الخوالي، أيام شامية)، ولاحقاً ظهرت أعمال تناولت أيضاً كفاح السوريين ضد الاستعمار الفرنسي رغم أن بعضها أخذ شكل البيئة الشامية إلا أن فكرة مقاومة المستعمر كانت حاضرة فيها.

ومن الأسباب التي أدت أيضاً إلى زيادة شعبية الدراما السورية في الوطن العربي أنها كانت ولا تزال سباقةً في تناول القضية الفلسطينية حيث كان لفلسطين ونضالات شعبها حضورٌ جيدٌ في كثير من الأعمال سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وهنالك أعمال مهمة على هذا الصعيد مثل (التغريبة الفلسطينية) الذي تناول قصة كفاح الشعب الفلسطيني وتجربة الاقتلاع واللجوء والمقاومة المبكرة، و(الشتات) الذي استعرض نشوء الحركة الصهيونية، إضافة إلى (عائد إلى حيفا) و(عياش) الذي يحكي قصة الشهيد يحيى عياش.

قدمت الدراما السورية أعمالاً متنوعة جعلتها تحظى بمتابعة جماهيرية كبيرة واستطاعت حصد كثير من الجوائز في أهم المهرجانات العربية والعالمية، وتميزت بإنتاجها على مستوى الكم والنوع حيث كان ينتج في سورية سنوياً –لغاية ما قبل الحرب- حوالي (40) عملاً درامياً تُنتج وتمول برأسمال سوري وبأيدٍ سورية سواء من قبل القطاع العام (المؤسسة العامة للإنتاج الإذاعي والتلفزيوني) أو من قبل شركات الإنتاج الخاصة، وكانت هذه الأعمال تعرض على أغلب القنوات والفضائيات العربية من المحيط إلى الخليج وغالبيتها ذات سوية عالية من حيث الجودة رغم التكلفة القليلة والمتواضعة لعدد لا بأس به من هذه الأعمال.

لقد كانت صناعة الدراما في سورية صناعة مهمة وقطاعاً أساسياً يشغل الآلاف من ممثلين وفنيين وتقنيين وله مردود جيد على فئة كبيرة من فئات الشعب السوري، ومن رحم هذا القطاع ولد كثيرٌ من الموهوبين والمبدعين على الصعيدين الفني والتقني وأصبحوا أسماءَ لامعةً في هذا المجال، مما مهد الطريق للدراما السورية لأن تكون مدرسةً مستقلةً بحد ذاتها ولها بصمة واضحة في هذا العالم وتميز مشهود.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

منبر حر: المعركة الثقافية بين الإرهاب وطمس الهوية القومية

فارس سعادة

استطاعت الماكينة الإعلامية للولايات المتحدة الامريكية تشكيل ثقافة الخوف العالمي من الإسلام "الإسلاموفوبيا" وبالتالي ميزت من خلال الضخ الاعلامي ضد "الثقافة الإسلامية" بين الديموغرافيا والجغرافيا العالمية من جهة، وبين الديموغرافيا والجغرافية "الإسلامية" من جهة أخرى، وقد شكلت منطقة الوطن العربي "غرب آسيا وشمال إفريقيا"، ومنطقة جنوب ووسط آسيا التي تشمل جمهوريات الباكستان وأفغانستان تحديداً، مسرح الأحداث التي مثلت الرعب الغربي والعالمي على المستوى الجماهيري والشعبي من الإسلام أو "الثقافة الإسلامية". هذه الجغرافيا الكبيرة التي يقع الوطن العربي في مركزها الجغرافي والسكاني أصبح عبارة عن "منطقة الشر" أو جغرافيا الخطر ومصدر كل الشر الذي يصدّر إلى أوروبا عبر الهجرة والتهريب والعمليات الإرهابية.

بالرغم من خطأ ربط ثقافات شعوب مختلفة عرقياً وثقافياً بالإسلام فقط، وتعميم مصطلح "ثقافة إسلامية" على عشرات بل ومئات الشعوب، إلا أن أكثر المؤسسات العالمية، من أكاديمية وبحثية وحقوقية وغيرها، تبنت مصطلح "الثقافة الإسلامية" والإرهاب أو "الحرب على الإرهاب" بشكلٍ اعتباطيٍ غير مدروس، بل قامت بعض هذه المؤسسات بتطوير هذه المصطلحات ودراستها وربطها بكل مجتمعٍ أو جغرافيا تحتوي افراداً مسلمين! ولعل قدرة الإمبريالية على نشر خطابها الثقافي من خلال الهيمنة الغربية ومركزية الخطاب الغربي "ثقافياً" كانت العامل الحاسم في انتشار خطاب "الإسلاموفوبيا"، والخطابات الأخرى التي نتجت عنه ضد الدول المستقلة المناهضة للإمبريالية مثل دول أمريكا اللاتينية وروسيا والصين وسورية وإيران، والتي تركزت على خطابين رئيسيين هما:

- التمدد الروسي والخوف من التركة السوفيتية في عقول الغربيين.
- الحضارة العربية-الإسلامية وتاريخها في السيطرة والتوسع، وتجربتي محمد علي باشا وجمال عبد الناصر في الوقوف في وجه الغرب.

ردة الفعل لدى صانعي القرار والاستراتيجية في الدول المستقلة اعتمدت بالمقابل على خطابين رئيسيين أيضاً في وجه إمبريالية والغرب من الناحية السياسية والثقافية:

- روسيا والصين اعتمدتا على القانون الدولي و"الشرعية الدولية" من خلال مؤسسة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى في وجه التفرد الأمريكي والغربي بالقرار العالمي.
- الدول المناهضة للإمبريالية مثل سورية وفنزويلا وبوليفيا وكوبا وغيرها اعتمدت على خطاب الاستقلال الوطني والقومي وعلى خطاب مناهضة الإمبريالية والمركزية الغربية وصولاً إلى المواجهة المباشرة سياسياً وعسكرياً في سورية وليبيا والعراق.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

صحيحٌ أن سياسة روسيا والصين في الاعتماد على القانون الدولي حققت نجاحاً جزئياً في حماية سورية من أخطار محدقة في أحياناً إلا أن التاريخ الحديث يثبت أن الإمبريالية تستطيع ببساطة تجاوز القانون الدولي كما حدث في العراق في العام 2003 على سبيل المثال، كما أن "الشرعية الدولية" لم تحمِ ليبيا، ولم تحمِ العراق من الحصار، وكانت شديدة على العرب عموماً، وفلسطين خصوصاً، ولم تفدنا في سورية إلا بمقدار ما وقفت روسيا والصين ضد الإمبريالية في مجلس الأمن، وبالنظر إلى خطورة وعدم جذرية المسألة القانونية في الصراع العالمي الدائر بين الإمبريالية والعالم المستقل المناهض لها أثبتت سياسة المواجهة المباشرة ومعركة كسر العظم في سورية نجاعتها السياسية والعسكرية في إبطال مفاعيل الكثير من المؤامرات التي حاولت الإمبريالية والرجعيات العربية والغربية تنفيذها ضد الجمهورية العربية السورية. ولكن يبقى السؤال: إلى متى نبقى في موقف المدافع عن المجال الحيوي وعن أبسط حقوق الشعوب والدول في السيادة القومية والوطنية؟

سؤالٌ كبير يملك عدة اجابات على المستويات المختلفة، حضارياً وثقافياً، وعلى المستوى الاقتصادي-السياسي والاجتماعي....إلخ، وبما أن شرعنة الإمبريالية والرأسمالية تقوم على أساس ايديولوجي-ثقافي يعتمد على ترويج ثقافة الاستهلاك والتبعية، فلا بد من مقاومة هذا الأساس من خلال الثقافة أيضاً والتركيز على الثقافة لا يتم عبر الخطاب السياسي فحسب بل يتعداه وصولاً إلى أصغر مؤسسة اجتماعية في المجتمع أي الأسرة، المعركة الثقافية ضد الإمبريالية والمفاهيم الغربية للعالم والبشرية قائمة منذ أن بدأت القارة الأوروبية توسعها العسكري الكولونيالي على حساب باقي شعوب الأرض بعد عصر النهضة، هذه المعركة التي أخذت عدة أشكال مختلفة بحسب اختلاف شكل الصراع بين الشعوب المستقلة والغرب من إفريقيا إلى آسيا والأراضي الجديدة "القارتيين الامريكيتين" وأستراليا.

الانتقال من الدفاع إلى الهجوم في مواجهة الخطاب الثقافي للإمبريالية يتطلب الكثير من العمل، ولكن قبل الحديث عن مواجهة هذا الخطاب والانتقال بالمواجهة الثقافية من طبقة إلى أخرى ومن مكان إلى أخر أو من مستوى إلى مستوى جديد يجب كشف ماهية الأهداف التي تسعى خلفها الإمبريالية وأدواتها من وراء السيطرة على الثقافة والخطاب الثقافي، وكيف تقوم بنشر هذا الخطاب الثقافي في صفوف النخب والجماهير؟

الاستقلال/ التبعية، المقاومة/ الرضوخ، القومية/ العولمة، "الثقافة الحرة" أو حرية الثقافة في مقابل الثقافات المحلية والوطنية والقومية كلها تناقضات على الصعيد الثقافي ليس على المستوى الاصطلاحي فقط بل على كافة الصعد، فمعركة الثقافة لها أولوية كبيرة في ظل التراجع الثوري والجماهيري في كثيرٍ من دول العالم وعلى رأسها الدول العربية التي لا تزال مؤسسات التفكيك التابعة للغرب تعمل فيها على تفكيك الثقافة العربية عبر وسائل مختلفة تكون فيها الإمبريالية إما مساهماً وممولاً مباشراً أو مراقباً من بعيد وموجهاً للحدث أو للشخصية النخبوية أو المؤسسة الثقافية.... كما في مثال عزمي بشارة وكل من يدور في فلكه من شعراء وكتاب وباحثين يعملون لسحب البساط وسلب الخطاب الثقافي وبالتالي السياسي من المنابر الأخرى مدعومين بالتمويل القطري والحماية القطرية! في حالة مثل حالة عزمي بشارة تكون مؤسسة الخطاب واضحة الأهداف غالباً، فهي تحاول تفكيك الخطاب الثوري والتحرري ليصبح على شاكلة خطاب الإرهاب في سورية أو ما يسمى "ثورة سورية"، وتحاول سلب الشباب المثقف والمطّلع من المنابر والتيارات الشعبية لكي تمنع وتكون كابحاً في وجه أي محاولة لبناء تيار ثقافي ما أو خطاب ثوري جديد، وهذا ما تم التركيز عليه في الآونة الأخيرة عبر اعتماد المؤسسات البحثية التابعة للرجعية العربية أو الإمبريالية على الإعلام بشكل كبير وتوظيفها لمحطات فضائية لنشر خطابها الثقافي لا السياسي فحسب. فالسيطرة على الخطاب الثقافي يعني كبح جماح التغيير أو توجيه هذا التغيير والسيطرة عليه كيفما تشاء المؤسسة الثقافية أو التي تتحكم بالخطاب السائد... أي تثبيت الهيمنة من خلال الثقافة وعدم الاحتكاك المباشر أو التدخل العنيف في شؤون الدول المستقلة وهذا ما يعيدنا إلى قول "أن الاستعمار خرج من الأبواب وعاد من الشبابيك"، ولكنه عاد من الأبواب أيضاً، عبر طبقة المثقفين المتغربيين أو المبهورين بـ"صدق" الخطاب الغربي الديموقراطي من جهة أو المثقفين والشباب "الطليعة" الذين يعملون من خلال جمعيات التمويل الأجنبية ومن بينها مراكز الأبحاث الغربية التي توظف النخب الشبابية العربية وغيرها لفهم المجتمعات الاخرى "دول العالم الثالث" حيث أن الاختراق الثقافي يكون أسهل وانجع على يد أبناء الوطن.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

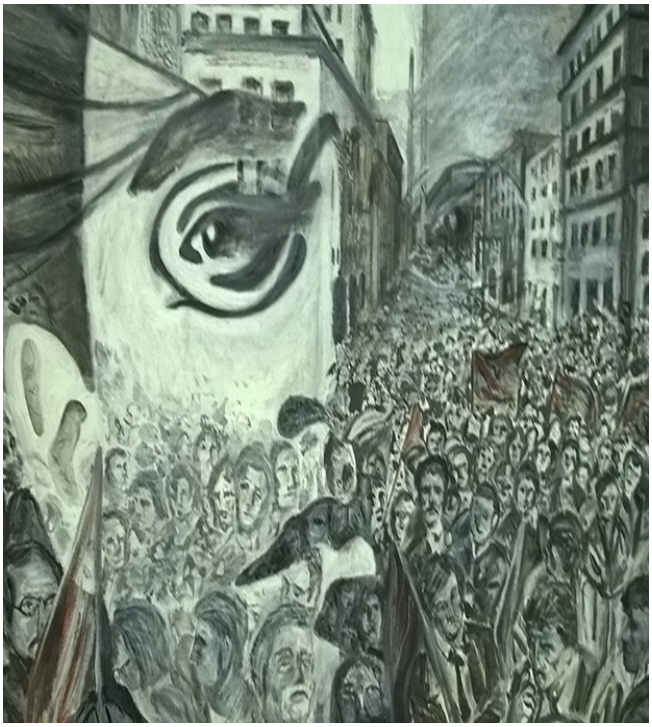

أصالة ثقافة ما وتجذرها في المجتمع تضع الكثير من الصعوبات في وجه الإمبريالية والخطاب المعولم والليبرالي بحيث يصبح التمسك بالموروث والتراث المحلي والوطني حالة شعبية لمقاومة التغيير المفروض من قبل الاحتلال أو السلطة الرجعية في دول ما بعد الاستعمار، هذا التمسك يصل في كثير من الأحيان إلى حالة من الجمود الثقافي وفي بعض الأحيان يصبح حالة رجعية متقوقعة في جحور الظلام مما يعرضها للاختراق بسبب قصورها الفكري والثقافي في مواجه خطابات الحداثة المتفوقة عليها فكرياً وعملياً والممولة بشكل كبير والمنطلقة من مؤسسات ثقافية تابعة للكولونيالية ومثال ذلك ما حدث للفكر الإسلامي وجماعات الإسلام السياسي التي نشأ بعضها تابعاً والبعض الآخر تحول إلى وكيل للإمبريالية في بلده بسبب قصور الفكر والأيديولوجيا.

الإرهاب الثقافي يمكن أن يوصف بأنه حالة من التخويف والاستقطاب في نفس الوقت فمن يعارض الإمبريالية والتبعية بشكل جذري وحاسم على المستوى الثقافي يصبح منبوذاً، وفي بعض الأحيان تصبح حياته في خطر، ومن يجاري الإمبريالية وأفكار مثل ما بعد الحداثة وغيرها يمول ويتم تبنيه وتبني خطابه الثقافي بغض النظر عن جودة ورقي ما يقدمه أو تناسق هذا الخطاب مع الواقع ووعيه للواقع الوطني والقومي أم لا، وكم نرى على شاشات الفضائيات العربية من تلميع للبعض على حساب النخب الحقيقية! وهذا يعود مرده إلى أمرين هما:

1. سيطرة الرجعيات والمال الخليجي على المشهد الثقافي العربي.
2. عدم وجود مركز للمقاومة ومناهضة الإمبريالية قادر على تبني حالة ثقافية مقاومة، أي خطاب مناهض للإمبريالية في الوطن العربي على المستوى الثقافي.

لا نقصد التقليل من تجربة حزب الله المقاومة أو صمود الجيش العربي السوري بكل تاكيد، فلولا صمودهم وانتصارهم الكبير ما كنا لنكتب هنا بكل ثقة، إلا أن الحديث ينصب على الثقافة والمعركة الثقافية والتي نرى أنها يجب أن تقع على رأس أولويات المقاومة العربية للواقع الرجعي، ويجب أن تولى الكثير من الاهتمام فهي الحامل لكل البنى المجتمعية في أي مجتمع وهي القادرة على حماية الطبقات الشعبية من أي اختراق، كما أن الثقافة هي العامل الرئيسي في انتاج التقدم والحضارة القومية لأي أمة. ففي مقابل عمل الإمبريالية وأدواتها من داعش وأخواتها في سورية والعراق مثلاً على تدمير وطمس التراث المادي والآثار القديمة في سورية والعراق لا توجد حقيقةً ردة فعل عربية تتناسب مع الواقع وتعمل على استرداد ما سرق وترميم ما دمر على الأقل على مستوى المؤتمرات والندوات وعلى المستوى الأكاديمي والمعرفي، ففي وقتٍ تقوم فيه الكثير من الجهات الأوروبية المستقلة على عقد الاجتماعات والندوات ومحاولة استرداد ما سرق من اثار في كل من سورية والعراق وحتى ليبيا لا نجد هبة نخبوية تعمل على كشف الحقائق ومحاولات التدمير والطمس الحضاري التي تحاول جهات عدة على تنفيذها وتعمل على إنتاج ما يمكن أن يسمى خطاباً حضارياً مضاداً للإمبريالية.

الطمس الحضاري ضد الوطن العربي يحمل عدة وجوه وتتداخل فيه عدة جهات يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1. الحركة الصهيونية وعملها على تشويه وطمس التاريخ العربي، واختلاق روايات تاريخية مشوهة.

2. الولايات المتحدة الأمريكية والغرب أي الإمبريالية في محاولة لحسم الصراع الحضاري وترسيخ مركزيتها التاريخية في السيطرة على العالم من خلال طمس كل الإرث التاريخي والحضاري للشعوب والأمم المستقلة وعلى رأسها الأمة العربية.

3. الرجعيات العربية في ظل تردي وضعف خطابها الثقافي وإرثها الفكري بسبب تبعيتها للغرب من جهة، وتبنيها لأيديولوجيا رجعية تعمل على تدمير وطمس التاريخ العربي من حولها لتثبيت مركزيتها في قيادة المنطقة لحساب الإمبريالية بالطبع.

4. الحركات الانفصالية والجيران الأعداء أي الأدوات التي تستخدم من قبل الإمبريالية أو الدول المحيطة التي تحاول طمس التاريخ والحضارة العربية لأهداف توسعية على عدة مستويات جغرافية وثقافية، تركيا على سبيل المثال وتدميرها للآثار في شمال سورية، والأكراد وسرقتهم للآثار وتشويه الحقائق التاريخية لطمس الهوية العربية القديمة لمناطق شمال العراق، وبعض دعاة الانفصال في غرب الوطن العربي "شمال افريقيا" وخطابهم الفرانكفوني الذي يعمل على طمس الهوية العربية للمغرب العربي بشكل واضح وجريء بحيث تتم مهاجمة كل أرث حضاري للعرب في المنطقة، وحتى في المشرق العربي، إذ ان الخطاب السياسي للانفصاليين الأمازيغ يعمل لنشر ثقافة كراهية فلسطين ووسم المقاومة الفلسطينية "بالإرهاب".

في ظل هذه الحقائق لم يعد هناك من شك بأن المعركة الثقافية هي المعركة الحاسمة للصراع بين الإمبريالية والأمم المستقلة، هذه المعركة التي يجب أن تشغل مساحة كبيرة من عمل التيارات والحركات الثورية العربية ومؤسسات الثقافة العربية لكي لا نبقى في موقع المدافعين حتى عن أصغر الحقوق القومية.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

تاريخيّة السّيرة (7) - الإشكاليّة

محمد العملة

اختتمتُ الجزء السابق بالحديث عن فتنة الجماعة المؤمنة، عن دينها الذي تبعت فيه النبي العربيّ، ثم هجرتها إلى الحبشة، ومن بعدها إلى يثرب، مما قادنا إلى استنتاج أن الفترة الأولى كانت منغمسة في الدعوة، مدللين على ذلك بمحتوى قرآن الفترة نفسها، الذي ينتهي بسورتَيْ "الإخلاص" و"الكافرون"، ومن قبلهما سورة "النجم" التي قلنا أنها تحمل إشكاليّة ما، وفي الكلام التالي بيان ذلك!

سورة "الإخلاص" تلخّص عقيدة التوحيد، أما "الكافرون" فتعلن القطيعة الدينية مع قريش، أي أننا أمام المفصل الأهم في مسار الدعوة، لكن مقدمة التصريحات في السورتيْن حملتها سورة "النّجم" التي تهاجم -في سياقها- الآباء ومعتقداتهم وتعيب آلهتهم، تحديداً في الآية الثالثة والعشرين: "إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ".

هذه الآية تفتح باب الحديث عن قصّة جدليّة هي موضع الإشكالية، يسمّيها المستشرقون بحكاية "الآيات الشيطانيّة"، وتوردها بعض كتب السّيرة باسم "الغرانيق العُلا".

تقول الحكاية أن النبي اجتمع مع أشراف قريش يتلو عليهم سورة "النّجم"، ولما وصل إلى:"أفرأيتم اللات والعُزّى، ومناة الثالثة الأخرى"، ألقى الشيطان على لسانه آيتين: "تلك الغرانيق العُلا، وإنّ شفاعتهنّ لتُرتَجى" عِوضاً عن "أَلَكُمُ الذَّكَر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ضيزى"، وتابع النبي تلاوة السورة التي توجد سجدة في نهايتها؛ فسجد وسجدت معه قريش. قال له الملأ بعدها ما معناه: نحن نعلم أن الله يحيي ويميت، لكننا متمسكون بآلهتنا، وإن ذكرتها بخير فهذا أمر محمود. ولما سمع المسلمون في الحبشة بالأمر رجعوا إلى مكّة ظنّاً منهم أن قريشاً أسلمت، لكنهم رأوا أن قريش اشتدّت على المؤمنين في مكّة، ذلك أن جبريل جاء للنبي وأعلمه أن الوحي لم ينزل بهذه الصورّة، مصحّحاً الآيات "الشيطانية" التي أعجبت قريش إذ ذكرت آلهتهم بخير، وبعد ذلك عاد قسم من هؤلاء المؤمنين إلى الحبشة مرة أخرى.

نفي الحكاية:

في تفسير القصة، يؤكّد الطبري على حصولها استناداً على رواية "محمد بن كعب القرظي" الذي يدعم كلامه بالسياق القرآني في سورة الحج: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"، والآيات في سورة الإسراء: "وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا".

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

القصة مذكورة أيضاً عند ابن إسحاق وابن سعد، بينما لا نقع عليها في سيرة ابن هشام، ونكاد نلحظها عند البلاذري، والحق أنها إن صحّت فهي ستطرح إشكالاً يعطّل مسار الأحداث الذي نحاول الاقتراب منه؛ إذ أنّها تجلي عكسيّاً مسار النبي والعمل الذي قام به قبلها، والذي سيقوم به بعدها، لكن معظم المستشرقين تحمسوا للحكاية، فأصدَروا أحكاماً تقريظيّة عن النبي أنه مخادع وغير صادق في رسالته، بل إن "بلاشير" أدرَجَ هذه الآيات في ترجمته للقرآن.

رفْعُ أهمية القصة من جانب المستشرقين قد يكون معزوّاً إلى أن الآية الثالثة والعشرين في سورة النجم (موضع الإشكالية) لا تتماشى في وزنها وطولها مع إيقاع الآيات السابقة لها، وموقفها المتشدد من إعلان القطيعة مع آلهة قريش قد يكون تعبيراً عن نفي موقف مضاد سابق لها غير متشدد تجاه مسألة تعدد الآلهة، وعلى كل حال يدخل هذا في دائرة التكهنات الممكنة، خصوصاً وأننا نقارب النص من وجهة نظر المؤرّخ، لكن القصة كما هي في إطارها العام أرجح لأن تكون غير مقبولة، أيضاً من وجهة نظر المؤرّخ، ويورد "هشام جعيط" في نفيه الحكاية الأسبابَ التالية:

1. الآيتان "تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن لتُرتَجى" وضعتا حسب رواية "القرظي" ضمن أجمل سور القرآن وأدقها صياغة، لكنهما ركيكتان وليستا من أسلوب القرآن في شيء، فهل حقاً يعجز القرآن عن وصف الآلهة سوى أنها من الغرانيق (نوع من الطيور الكبيرة)!
2. "القرظي" دعم روايته بآية من سورة الحج، وهي سورة مدنيّة، وإن كانت العديد من آياتها مؤرخة للفترة المكية الثالثة، لكن الآية الواردة في الرواية مدنيّة وسياقها يفصح عن ذلك. الأمر الآخر، أن فكرة "فتنة الشيطان أو غوايته" المذكورة في تلك الآية تدخل في التقليد الديني القديم، وربما أراد القرآن المماهاة بين تجربة النبيّين عيسى المسيح ومحمد بن عبدالله من خلالها.
3. ما ذكره "القرظي" في روايته التي أوردها الطبري من آيات سورة الإسراء، يجري عليه ما جرى على الآية من سورة الحج؛ فالإسراء من سور الفترة المكية الثانية، وسياقها يتحدث عن محاولات قريش إخراج النبي واجتذاب جماعته لهم.
4. ليس صحيحاً البتّة أن قريشاً سجدت مع النبي بعد أن تلا عليهم سورة النجم كاملة، فهي نزلت على مقاطع، ولم تكن مكتملة عند حصول القصة، خصوصاً الآيات من (1 إلى 25)، باستثناء الآية 23 التي تخالِف إيقاع هذا المقطع.
5. هناك تناقضات في تؤرَخَة القصة تخلط الأحداث الأساسية في مسار الدعوة، ونتحدث هنا عن الفتنة فالهجرة إلى الحبشة. تقول كتب السيرة أن الهجرة وقعت بعد أن عاب النبي آلهة قريش وذكر الآباء بالسوء، وقبل ذلك لم ينكروا عليه دعوته ولم يعلنوا القطيعة معه، لكن القصة تطرح عودة فوج من المؤمنين برسالة النبي العربي من الحبشة مع أن الهجرة لم تكن قد حصلت بعد.
6. أنّ سياق الأحداث في الحكاية يفترض أن النبي أراد التقرّب من قومه ولمّا يحصل شيء يستوجب ذلك.
7. أن سورة النجم كانت السبب في إحداث القطيعة مع قريش، إذ تبعتها سورتا الإخلاص والكافرون، وكلاهما تعبّران عن عقيدة التوحيد بشكل واضح كما ذكرنا.
8. أن المقطع الثاني من سورة النجم في الآيات 26، 27 و 28 يأتي على ذكر الملائكة وشفاعتها وصفتها الأنثوية عند المشركين، والمصادر تطرح أن قريشاً كانت تجيب النبي بذلك. اعتقدت العرب قديما أن آلهتها، كالملائكة، بنات لله، وأنها تشفع لهم عنده مما يمكن تبريره بأنه اعترافٌ ضمني بالحياة الآخرة. مثل هذا السياق قد يوصلنا لنتيجة أن قريش بدأت بتقارب ما تجاه النبي، على عكس ما تطرحه كتب السيرة، أن النبي سعى لهذا التقارب مع قومه معرضاً عن "التوحيد" بشكل مؤقت، ولكن في حاصل الأمر أن هناك فئةٌ اعترضت على التقارب الذي أحدثه القرشيون في مكة، فئة من قريش، ثريّةٌ جداً تقيم في الطائف، لم يعجبها هذا التفاهم مع الأفكار المُحدَثَة التي جاء بها نبي العرب، فحصلت بعدها الفتنة ثم الإيذاء فالهجرة، ولنا على هذا الكلام أثرٌ مهم.

حل الإشكاليّة:

حسناً؛ بعد دحض حكاية "الغرانيق العلى"، ما الترتيب المنطقي للأحداث؟
أعني بالترتيب المنطقي، الشكل السببيّ له، أي محاولة فهم الأسباب للوقوف على تسلسل الأحداث، لا مجرد تعدادها بترتيب زماني فقط. إنّ ما نحتفظ به من روايات السّيرة هو فكرة المنعرج في الأحداث بعد أن عاب القرآن آلهة قريش، لا الظروف المحيطة بالفكرة نفسها؛ فالقرآن رفع من شأن الكعبة (البيت)، ولم يمسس مؤسسة الحج، كذلك لم يكن حديثه عن التبشير والتنذير ونهاية العالم أموراً تحسست منها قريش، أما مسألة الآلهة وتعدّدها، فقد كانت قريش ترى فيها أساساً لدينها.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

في هذا السياق، يورد الطبريّ وثيقة مهمة تكشف عن بداية عداوة قريش للنبي، وهي رسالة من "عروة بن الزبير" إلى الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" يرويها هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه. يبدأ عروة رسالته بالقول: "أن النبي لما دعا قومه لِما بعثه الله من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا عنه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم. وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال، أنكروا ذلك عليه، واشتدوا عليه وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم".

ثم يتابع ما معناه: أن رؤوس القوم أمرت الناس بفتنة الجماعة الجديدة عن دينها، ولما حصل ذلك أمَرَهم النبي بالخروج إلى الحبشة... إلى آخر الكلام.

الوثيقة ذات أهمية بالغة، لأنها تمكّننا من استنباط استنتاجات عديدة بالرغم من سكوتها عن تفاصيل كثيرة أيضاً، لكن إلى أي مدى يمكن اعتبار الوثيقة صحيحة؟

يتماشى "هشام جعيط" مع رأي المستشرق "مونتغمري وات" أنّ ما روي عن عروة عن طريق ابن شهاب الزهري -الذي ذكرناه في الجزء الثاني من هذه السلسلة- ثم ابن إسحاق لا يعتد به كثيراً، لكن رواية عروة الموجودة عند الطبري -لنفس الرسالة- موثوقة أكثر، ذلك أن سلسلة الإسناد مختلفة هنا ومرجعها "أبان العطّار". "أبان" هذا كان من زعماء القدريّة، وهي فرقة مناهضة لبني أميّة، وكان معاصراً لهشام بن عروة بن الزبير. الأمر الثاني، أن اهتمام القدريّة بأمر على علاقة بأصول الإسلام مثل وثيقة عروة، قد يكون طعناً بصفة غير مباشرة في بني أميّة، لأن الوثيقة تتحدث عن أثرياء قرشيين يملكون أموالاً في الطائف، وعندما ننظر في تراجم الرجال في آثار أخرى، نجد أن هؤلاء الأثرياء من بني عبد شمس في معظمهم، أي من بني أمية، منهم العاص بن وائل وشيبة بن ربيعة. وعلى كل حال، مكمن الرسالة كلها يدور حول الأثرياء القرشيين، وتفسير هذه المسألة ضرورة ملحّة.

الطائف كانت تجمّعاً ذا طابع زراعي، أسّسته قبيلة "هوازن" القوية عسكريّاً قبل أن ينضم الأحلاف إليها لاحقاً، وهؤلاء الأحلاف المؤسسون لثقيف كانوا أكثر ديناميّة من هوازن، فأدخلوا نمط التجارة القرشي وسعوا لتوطين "اللّات" في الطائف، فكان حرم اللّات في الطائف كالحرم المكّي، لكن دونه في الأهميّة. الشاهد من هذا الكلام أن أثرياء قريش ممن لهم أموال في الطائف غضبوا عندما عاب النبي والقرآن الآلهة بسوء، تحديداً في سورة النجم التي أتت على ذكر "اللّات"، العنصر الأساسي في حياة الطائف، حيث مصالحهم وأموالهم، أي أنهم خافوا غضب الأحلاف الثقفيّين من قريش.

حلّت الإشكاليّة الآن، وأصبح منطقياً فهم تسلسل الأحداث: قريش في مكّة تقوم بالتقارب، الطرف القرشي الثري في الطائف يرفض التقارب، القرآن يعيب الآلهة، فتحدث الفتنة ثم الهجرة إلى الحبشة.

هل يفصح قرآن الفترتين الثانية والثالثة المكيّ عن تفاصيل أخرى بعد ذلك؟ هل تتحدث كتب السيرة عن أحداث تتوازى تاريخياً مع قرآن الفترتين الثانية والثالثة المكيّ؟ هذا ما سنبيّنه في الجزء الأخير من هذه السلسلة.

يتبع..

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

قصيدة العدد: حكم سيوفك في رقاب العذلِ/ عنترة بن شداد العبسي

حَكِّم سُيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ ... وَإِذا نَزَلتَ بِدارِ ذُلٍّ فَارحَلِ
وَإِذا بُليتَ بِظالِمٍ كُن ظالِماً ... وَإِذا لَقيتَ ذَوي الجَهالَةِ فَاجهَلِ
وَإِذا الجَبانُ نَهاكَ يَومَ كَريهَةٍ ... خَوفاً عَلَيكَ مِنَ اِزدِحامِ الجَحفَلِ
فَاِعصِ مَقالَتَهُ وَلا تَحفِل بِهِ ... وَاِقدِم إِذا حَقَّ اللِقا في الأَوَّلِ
وَاِختَر لِنَفسِكَ مَنزِلاً تَعلو بِهِ ... أَو مُت كَريماً تَحتَ ظُلِّ القَسطَلِ
فَالمَوتُ لا يُنجيكَ مِن آفاتِهِ ... حِصنٌ وَلَو شَيَّدتَهُ بِالجَندَلِ
مَوتُ الفَتى في عِزَّةٍ خَيرٌ لَهُ ... مِن أَن يَبيتَ أَسيرَ طَرفٍ أَكحَلِ
إِن كُنتَ في عَدَدِ العَبيدِ فَهِمَّتي ... فَوقَ الثُرَيّا وَالسِماكِ الأَعزَلِ
أَو أَنكَرَت فُرسانُ عَبسٍ نِسبَتي ... فَسِنانُ رُمحي وَالحُسامُ يُقِرُّ لي
وَبِذابِلي وَمُهَنَّدي نِلتُ العُلا ... لا بِالقَرابَةِ وَالعَديدِ الأَجزَلِ
وَرَمَيتُ مُهري في العَجاجِ فَخاضَهُ ... وَالنارُ تَقدَحُ مِن شِفارِ الأَنصُلِ
خاضَ العَجاجَ مُحَجَّلاً حَتّى إِذ ... شَهِدَ الوَقيعَةَ عادَ غَيرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَد نَكَبتُ بَني حُرَيقَةَ نَكبَةً ... لَمّا طَعَنتُ صَميمَ قَلبِ الأَخيَلِ
وَقَتَلتُ فارِسَهُم رَبيعَةَ عَنوَةً ... وَالهَيذُبانَ وَجابِرَ بنَ مُهَلهَلِ
وَاِبنَي رَبيعَةَ وَالحَريشَ وَمالِك ... وَالزِبرِقانُ غَدا طَريحَ الجَندَلِ
وَأَنا اِبنُ سَوداءِ الجَبينِ كَأَنَّه ... ضَبُعٌ تَرَعرَعَ في رُسومِ المَنزِلِ
السـاقُ مِنها مِثلُ ساقِ نَعامَةٍ ... وَالشَعرُ مِنها مِثلُ حَبِّ الفُلفُلِ
وَالثَغرُ مِن تَحتِ اللِثامِ كَأَنَّهُ ... بَرقٌ تَلَألَأَ في الظَلامِ المُسدَلِ
يا نازِلينَ عَلى الحِمى وَدِيارِهِ ... هَلّا رَأَيتُم في الدِيارِ تَقَلقُلي
قَد طالَ عِزُّكُم وَذُلّي في الهَوى ... وَمِنَ العَجائِبِ عِزُّكُم وَتَذَلُّلي
لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ ... بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ
ماءُ الحَياةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ ... وَجَهَنَّمٌ بِالعِزِّ أَطيَبُ مَنزِلِ

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

فروسية وشعراً، تجلت العروبة بالشاعر الجاهلي عنترة بن شداد العبسي، أحد أهم شعراء المعلقات العرب ما قبل الإسلام، المولود في القرن السادس الميلادي،والمختلف حول سنة وفاته، عيرته العرب بأمه زبيبة، الأميرة الحبشية التي أسرت في هجمة على قافلتها، وأنجب منها شداد -أبو عنترة- أخوين آخرين لعنترة، لئن كان عبداً أسودَ، وابن أمةٍ حبشية، فلم يعترف به أبوه، ولم يستلحقه بنسبه، بل كان يعاقبه أشد العقاب، حيث ذاق مرارة الحرمان وشظف العيش ومهانة الدار، كما حرم من حبيبته، ابنة عمه عبلة بنت مالك، التي رفض أبوها تزويجها لعبدٍ، فعرف إلى جانب اشتهاره بشعر الفروسية والبطولة، بشعره الغزلي العفيف لعبلة، والتي كتب فيها أحلى القصائد وأكثرها إيلاماً لما فيها من شوق وحب وإحساس بالظلم الناتج عن عادات كانت للعرب في الجاهلية، كمنعهم تزويج البنات لمن تشبب بهن قبل الزواج، وتمسك بمعايير مجحفة بالاعتراف بالنسب، وإن كانت العروبة نسباً لكل من آمن بها.
أما عن قصة استلحاقه بنسب أبيه بعد فترة طويلة من حياته، فيروى عنها:

ذلك أن قبيلة طيء أغارت على عبس في ثأر لها، إذ سبق لعبس أن غزتها واستاقت إبلها، وكان عنترة مع بني قومه في حومة النزال، لكنه اشترك مدافعاً لا مهاجماً، وسبب ذلك ما روي أنه شارك من قبل بغزو قبيلة طيء لكنهم بخسوه حقه في الغنائم، إذ فرضوا له نصيب العبد وهو النصف، فأبى، ومن ثم تقاعس عن الخوض في المعركة، واشتد الخطب على عبس حتى كادت أن تسلب خيراتها وتدور عليها الدوائر، عندئذ صاح أبوه بعنترة قائلاً: "كرَّ يا عنترة!" فأجاب عنترة على النداء:"لا يحسن العبد الكر إلا الحلاب والصر"، وفي تلك اللحظة، لم يجد أبوه إلا أن يمنحه اعتباره، فقال" كرَّ وأنت حرٌّ"، فكرَّ عنترة وراح يهجم وهو ينشد:

أنا الهجين عنترة كل امرئ يحمي حرَه
أسودَه وأحمرَه والشعرات المشعره
الواردات مشفره

وكان النصر لعبس، فاحتفلت القبيلة بعنترة وكرمته.
ويختلف الباحثون حول وفاته، لكن يقال أن الذي قتله يدعى الأسد الرهيص الطائي، كما يختلفون حول مآل حبه لعبلة، فمنهم من يقول أنه تزوجها بعد استلحاقه بنسب أبيه، ومنهم من يقول بأنه منع من زواجها لكنه ظل كل حياته متبتلاً في حبها.

العدد رقم (49) صدر في 1 حزيران عام 2018 للميلاد

كاركاتور العدد

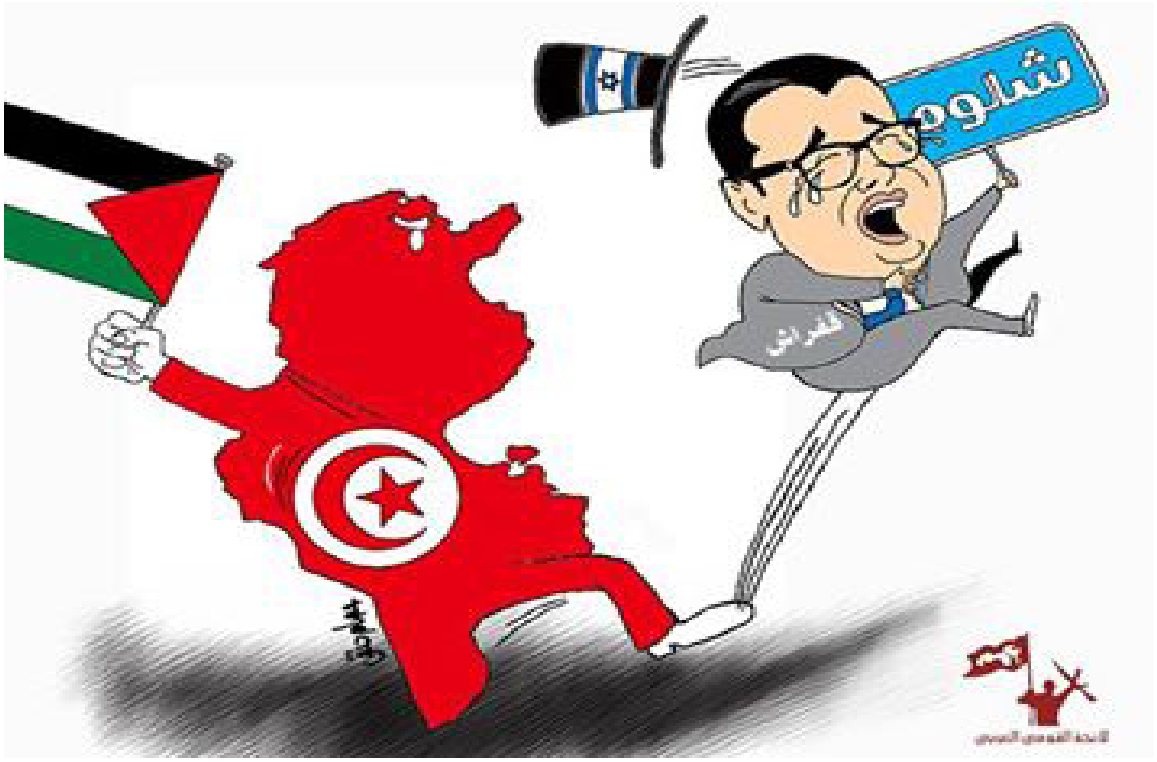

انتهى العدد